نافذة الشيطان

تأليف د/ريم جمعه

عندما يفقد الإنسان قدرته على الإختيار يفقد أدميته

السبت : 2018/8/25

الساعة : الحادية عشر مساء

ظلت حواء لأكثر من نصف ساعة على حالتها تلك واجمة فأصبحت كتمثال تم نحته حديثا، ما يجعلك تتأكد إنها ما زالت على قيد الحياة هي نظراتها المتنقلة بين شاشة الحاسب الآلي ونافذة شقتها. غزارة الدموع المنسابة من مقلتيها وتوقف يدها في منتصف الطريق بينها وبين زر الإرسال يخبرك بمدى العذاب القابع فيه قلبها. فهي تأبى التضحية بروحها وكذلك ترفض رفضا قاطع توريط أحد أخر في تلك الدوامة القاتلة.

بضع شهور، هم فقط بضع شهور. لم تكن لتتخيل أن حياتها قد تنقلب رأسا على عقب في تلك المدة. لو كان يمكنها العودة. لو كانت مجرد حمل كاذب حينها كانت ستريح وستستريح ولكان انتهى كل شيء قبل أن يبدأ من الأساس. مر بخاطرها الكثير والكثير من لو، ولكن منذ متى ولو يمكنها تصحيح الأمور، فلو ليس إلا حرف للمستحيل الذي لا ينفع معه إلا الندم.

ظلت تصرخ بأعلى صوتها لعل هناك من يسمع منجاتها وينقذها "اللعنة عليك وعلى هذا الموقع، اللعنة على ذاك اليوم التي سولت لي نفسي بأنها مجرد تراهات لا تضر. اللعنة عليك أيها الداعر الفاجر، اللعنة على تلك الرسالة التي كانت بداية كل شيء". صمتت لبرهة لتلتقط فيها أنفاسها ثم أكملت " بل اللعنة كل اللعنة عليَ، فلتذهب أيها الشيطان للجحيم أنت ولعبتك".

.....

الأحد: 2017/12/31

الساعة : الحادية عشر وتسع وخمسون دقيقة

عشرة ،تسعة ، ثمانية ، سبعة ، ستة ، خمسة ، أربعة ، ثلاثة ، اثنان ، واحد ..." كل عام وأنتم بخير " نطقها الجميع في صوت واحد مهنئين بعضهم بأول دقيقة في عام 2018. بدء ميلاد سنة جديدة وأحلام وأمنيات غالب البشر. هناك دوما جانب وردي في كل البشر فهم عند مطلع سنة جديدة يتوقعون أن تختلف تلك السنة عن سابقتها، يأملون أن تغير حياتهم وتزيل منها علامات الحزن الغائرة بروحهم وترويها بالغبطة لعلها تمحي تلك الشقوق وتزهر أحلامهم على أرض الواقع. يا ليتهم يعلمون أن نحن من نغير السنين وليس السنين هي من تأتي لنا بالجديد فحياتنا ما هي إلا نتاج اختياراتنا.

اقتربت روان من حواء من الخلف وهي تهمس بأذنها "كل عام وأنت بخير". التفت حواء لترى صديقتها روان فقامت باحتضانها " وأنت بخير، يا له من حفل لم أرى مثيله من قبل، وما يميزه ذاك الجمع الغفير من الأصدقاء وزملاء العمل". همت روان بالرد عليها إلا إنها لاحظت أن صديقتها فور تفوهها بتلك الكلمات نظرت خلفها وقد اتسعت ابتسامتها فعلمت على الفور أن المتربع على عرش فؤادها قد أطل عليهم من علياه وإنه قد حان وقت الرحيل.

أقبل مالك عليها وهو يتفحصها جيدا بعنينه السوداوين ويعلو وجهه نظرات الإعجاب بما يراه أمامه. أقترب منها وهو يهمس " أتمنى لك عام يضاهي ذاك الجمال الذي أراه أمامي، فستانك رائع وطلتك بهية سلبت عقلي قبل قلبي".

- أطرقت حواء رأسها خجلا وهي تغمغم "وهل للغراب أن يتباهى في حضور الطاووس" وأطلقت ضحكة لتداري ذلك التوتر الذي يعتريها.
- مط مالك شفتيه وقال: وهل هذا دم أم مدح؟

- ضحكت حواء وقد قررت أن تتركه فريسة إستنتجاته وأجابته: يجب أن أذهب الأن لقد تأخر الوقت.
- أمسك مالك مرفقها بهدوء : انتظرِ سأقلك للمنزل فالوقت قد تأخر على الذهاب بمفردك. كذلك لأعطيكِ هديتك. وذهبا معا.

كانت تتطلع بمالك مستغلة انشغاله بمراقبة الطريق أثناء القيادة، ملامحة الرجولية كانت تشغل تفكيرها في صحوها ونموها. تصرفاته التي تنم عن تربية قد تكون قد انقرضت في ذلك الزمن هو ما جعلها ترتبط به أكثر بل أصبح كالأكسجين لا تستطيع الحياة بدونه ولو لوهلة من الزمن خصوصا وهي تعيش بمفردها بعيدة عن أهلها وعن أمانهم فكان هو أمانها في جوف القاهرة وظلماته.

لمن لا يعرف مالك فهو في اوائل الثلاثينات من عمره، خمري البشرة أسود الشعر والعينين والتي يشع منها ذكاء واضح أهله لأن يترقى في عمله بكل سهولة رغم صغر سنه، جسده ممشوق رياضي، طوله فارع ذو شخصية فولاذية لا تلين إلا أمام حواء.

أخرجها من شرودها تلك الابتسامة الخبيثة التي كانت تعلو وجهه والتي تنبئها بأنه على الرغم من مراقبته الطريق جيدا إلا إنه يلاحظ تصرفاتها. لذلك أدارات وجهها ناحية زجاج السيارة كتعبير على غضبها منه.

أوقف سيارته أمام منزلها وقبل أن تترجل منها قام بإعطائها مفتاح صغير " كل عام وأنت بخير، هاك هديتك". تناولته منه وهي ممتعضة ما تلك الهدية الغربية فأخذت تقلبه في يدها محاولة أن تستشف ما كُنهة تلك الهدية "ما هذا". ابتسم مالك" احتفظ به فهو مفتاح حياتي حرفيا، ستحتاجينه مستقبلا، لكن عندما تستخدميه لا تحكمي عليَ مطلقا من دون معرفة الأسباب"

- " ماذا هناك مالك؟ لقد اعتراني القلق من حديثك"
- " لا شيء حوائي، هيا اخبريني ما هي أمنيتك لهذا العام". لم يرد بسؤاله إلا تغيير دفة الحديث بينهما
- " أتمنى أن يحدث تغيير يحدث انقلاب بحياتي فهي روتينية جدا، وأنا أكره الروتين والملل".

كانت تريد أن تعلمه أن قرار ارتباطهما قد حان وقته لكن خجلها منعها من ذلك فألقت له بتلك الكلمات لعله يفهم مقصدها. أخبرته أمنيتها وتركته وصعدت لمنزلها وكل منهما في عقله مئات التساؤلات عما قد تحمله لهما الأيام.

دلفت حواء للمنزل وعند دخولها نظرت في المرآة المتواجدة بجوار باب المنزل مباشرة ، فتاة عشرينية بيضاء البشرة سوداء العينين والشعر، دقيقة الأنف، ممشوقة القوام. نظرت لفستانها وتذكرت نفسها قبل سنتين عند حضورها من الشرقية إلى القاهرة لظروف عملها الذي تطلب ترك منزلها والانتقال للقاهرة والسكن مع صديقتها سماح " نعم لقد تغيرت حقا" كان هذا ردها على ما رأته بالمرآة.

لم تكن صديقتها بالمنزل بسبب ظروف عملها، ورغم إرهاقها إلا إنها تحدثت مع والديها لتقص عليهما أحداث يومها وتمنت لهم ليلة سعيدة ، وأعلمتهم إنها ستكون بين أحضانهما في نهاية هذا الأسبوع فلقد اشتاقت إليهما حقا.

ألقت بنفسها على فراشها الوثير ودثرت نفسها أسفل الأغطية لتستشعر الدفء الذي بدأ يتسلل إلى خلايا جسدها مصيبها بنوع من الاسترخاء الذي كان تطالب به طوال اليوم، ولكن قبل أن تغط في النوم وكعادتها قامت بفتح الحاسب الألى وتصفحت صفحتها على الفيس بوك وقامت

بالرد على الرسائل الواردة إليها والتي كانت أغلبها تتمنى لها عام سعيد. ولكن ما أثار انتباهها هي رسالة صديقتها سماح لم تكن تتمنى لها سنة سعيدة بل رابط ما، ووجدت أن صديقتها متاحة على التطبيق في هذا الوقت لذلك قامت بسؤالها:

حواء: ما هذا الرابط.

سماح: إنه اختبار "ما الذي ينتظرك في 2018".

حواء: إنك تعلمين إنني لا أحب تلك الاختبارات

سماح: أعلم بسبب تعليمات مالك ،ولكنه اختبار مضحك حقا، فلتعتبري ذلك هديتي لهذا العام.

حواء : أه منك، حسنا سوف أجريه هذه المرة فقط ،سنة سعيدة.

سماح : كل عام وأنت بخير ،لا تنسي أن تخبريني بالنتيجة لاحقا ،إلى اللقاء مؤقتا.

حواء: إلى اللقاء

قامت حواء بعد التردد بالضغط على الرابط والذي يطلب صفحة الفيس والرقم السري ، وعلى الرغم من أن مالك حذرها من تلك الاختبارات ،ولكن هي تعلم جيدا إنه ليس لديها أسرار على صفحتها الشخصية ولا تخفي شيئا أو تخاف أن يفتضح شيئا ما، بالإضافة إلى أن صفحتها عامة فأي شخص يستطيع أن يتصفحها ، لذلك أدخلت رقمها السري وانتظرت نتيجة الاختبار والذي ظهر بعد لحظات وكان فحواه ((حواء: ينتظرك الكثير من الأحداث المشوقة والمؤلمة ذلك العام ،فاستعدي)). حاولت إعادة الاختبار مرة أخرى لأن تلك النتيجة لم تلاقِ استحسان بداخلها مما أقبض قلبها. ولكن لسوء حظها لم يفتح مرة ثانية فلقد أصابه عطل ما لذلك أخذت تسب

سماح على ذلك الاختبار الأحمق الذي أرسلته لها، وقامت بإغلاق الحاسب واستولى عليها النوم.

.....

الأثنين : 2018/1/1

الساعة : الثامنة صباحا

استيقظت حواء من نومها ها هي أول إشراقة شمس للعام الجديد لعل مالك يفهم ما قصدته ويجعل قلبها أيضا يشرق مثلها. تثاءبت وأبدلت ملابسها حتى تتمكن من الوصول لعلمها دون تأخير. لكن ما إن فتحت باب غرفتها وجدت سماح وقد عادت من عملها و قد حضرت الفطور لكلتاهما، فنظرت لها حواء وابتسمت على تلك الصديقة التي بمثابة أختها فمنذ طفولتهما وهما معا لم يفترقا رغم أن كلتاهما سلكا طريقا مختلف في الدراسة والعمل. كما أن أهلها يثقان بها جدا فلم يوافقا أبدا على ارتحالها للقاهرة لولا أن علما أن سماح عملها بالقاهرة كذلك وإنها ستمكث معها. "صباح الخير لمصدر الخير كله، هل عدت لتوك من المشفى".

حركت سماح رأسها كنوع من الرد بالإيجاب وهي تمازح حواء " طبعا البعض له العمل والبعض له الاحتفالات على كُل ،كل عام وأنت بخير".

ردت حواء ممازحة إياها: حقا لقد كانت حفلة رائعة ولم أشعر بغيابك نهائيا ولم افتقدك ولو للحظة.

تمادت سماح في إغاظتها حيث قالت "أعلم فعندما يكون في الأرجاء تختفي كل العوالم والأكوان أليس كذلك، المهم هل قمت بإجراء الاختبار الذي أرسلته لك بالأمس".

تذكرت حواء ذلك الاختبار فعاد إليها حنقها لذلك قامت بلكز سماح في كتفها "بل تقصدين الذي أرسلته اليوم ،إنه اختبار أحمق كمرسلته تماما".

لوت سماح شفتيها امتعاضا " هكذا إذن ،لقد أرسلت إليك واحدا أخر فلتجربيه"

حواء "هل جننتِ ، أخبرك بأنه اختبار أحمق فتقومين بإرسال أخر".

سماح "أعدك إنه الأخير"

حواء بنفاذ صبر "لا لن أفتحه. ولا ترسلِ لي من فضلك أخرين".

قالت لها سماح وهي مبتعدة "إذا لم تجربيه سوف أرسل لكِ يوميا ملايين الاختبارات ، هل فهمتِ؟".

تأففت حواء من تصرفات صديقتها الطفولية، فهي تعلم تماما أنها تفعل ذلك نكاية بمالك لا أكثر، فلم ولن تتقبله سماح يوما كأن بينهما عداء قديم الأزل. ولكن في المقابل لا تريد حواء أن تخسر أحدهما، فحاولت التوسل لسماح "لماذا تصرين على ذلك الأمر كثيرا، مالك سيغضب عندما أخبره".

"حسنا لا تخبريه، كل ما في الأمر أنني لا أريد أن أشعر إنني الحمقاء الوحيدة التي أدمنت تلك الاختبارات" كانت تمسك بيد حواء وتنظر في أعماق عينيها بتلك النظرات المتلاعبة التي تستغلها المرأة في كل حروبها مع الرجل فتكسب جميع جولاتها دون أن تشهر أسلحتها من الأساس.

- حواء "حسنا سأجربه ولكن ليس لأنني حمقاء مثلك بل لكي أتخلص من إلحاحك، ولكن هذا هو الأخير اتفقنا".

- سماح "اذهبِ إذا وارتدِ ملابسك حتى لا تتأخرِ على عملك ولكن قومي أولا بإجراء الاختبار".
- قامت حوار بفتح هاتفها ولكن لفت انتباهها ساعة الهاتف فأخذت تصيح وهي تهرول "الويل لكِ ولحديثك ، لقد تأخرت عن العمل بالفعل، إلى اللقاء".

.....

الجمعة: 2018/7/27

الساعة :الخامسة عصرا

راكضة حواء في أروقة المشفى على غير هدى تفتش بعينيها غرف الممر لعلها تهتدي إلى غايتها وهي غرفة العناية المركزة. دموعها تنساب على خديها دون أن تعي لتعبر عما يعتمرها من ألم مصدقة على ما رفض عقلها التسليم به. هل حقا حدث ذلك ؟ ولماذا؟.

صادفت طبيبا يقف أمام أحد الغرف والتي اكتشفت إنها المنشودة لذلك تشبثت في معطفه وهي تسأله بلهفة " هل حقا مالك محمد بغرفة العناية؟ أخبرني من فضلك ماهي حالته؟ وهل هو بخير؟".

أجابها الطبيب بلا مبالاة لا تدل إلا إنه قد إعتاد بسبب طبيعة عمله على صراخ المكلومين، ولهفة المتأملين، وصدمة غير المصدقين لما يحدث لأحبائهم، هؤلاء من اعتقدوا أنهم بمأمن من غدر الدنيا وتقلبات الدهر "لا أكذب عليك خبرا ، إن حالته الصحية حرجة ولا اعتقد إنه سينجو فإصابته خطيرة حقا، لكن الكلمة الأخيرة دوما بيد الله، فأدعِ له فلا نملك إلا الدعاء".

خاوية، نظرت له بعينين خاويتين ولسان حالها ينطق من دون وعي" ما الذي حدث ،هل هي حادثة أم ماذا؟ ماذا أصابه؟".

كان رد الطبيب مقتضب لا يدل إلا على نفاذ صبره فهو في عجل يريد أن ينتهي من مرضاه ليعود سريعا لاستراحة الأطباء ليأخذ قسطا من الراحة " لقد حاول الانتحار بإلقاء نفسه من شرفة منزله، هذا ما أخبرنا به جيرانه وشهود العيان، ولا نعلم ما الذي حدث حقيقة؟ أستأذنكِ فلدي حالات أخرى".

حواء غير مصدقة لما تسمعه كان يعصف بعقلها الكثير من التساؤلات ويملأ قلبها الظنون والشكوك. مالك كيف ذلك؟ لا يمكن أن يحدث هذا، لم يكن مالك يوما شخصا انهزاميا لينتحر, لماذا يقدم مالك على إهلاك نفسه؟ لماذا في هذا الوقت وهي في أشد الحاجة إليه؟ لماذا تشعر بأنها السبب؟ هل حقا قام بالانتحار أم هناك من دفعه؟ يا ليتها لم تخبره؟ لماذا يا مالك لماذا؟ ".

أسندت جسدها على حائط الغرفة لتحتمي به من سقوطها فلم تعد تحتمل أي صدمة جديدة بحياتها ولكن هيهات أن تحصل من الزمن على ما تبتغيه، فالزمن دوما يتفنن في أن يفاجئنا بعكس ما نبغي وننشد. رن جرس هاتفها المحمول ووجدت الشاشة تضئ برقم خاص فعلمت إنه ذلك اللعين لذلك قامت بالرد عليه مسرعة على غير عادتها وهي تشتعل غضبا" فلينتقم الله منك أيها الفاجر إنني على يقين بأنك السبب فيما حدث لمالك".

أتاها صوت محدثها على الهاتف وهو يجيب بكل هدوء وكأنها كانت تطربه بكلمات الغزل "بالفعل أيتها الحمقاء ومن غيري يفعل ذلك".

على الرغم من إنها كانت تتوقع إنه خلف كل ما يحدث مؤخرا لها إلا أنها على الرغم من ذلك صدمت من إجابته فبهت صوتها بدون إرادتها " لماذا؟ إنه الوحيد المتبقي لدي ،هل لأنني أخبرته بما حدث وما فعلته" .

قهقه محدثها "وهل تعتقدِ أنني قد أقتله لأنك أخبرته، يبدو إنك ما زلت لم تقدري مقدار قوتي وسيطرتي على المغفلين أمثالك. فلتخبري كل من تعرفيه يا عزيزي فمقاليد أغلب الحمقى والسذج بأيدي وهؤلاء ما أكثرهم. وحتى لا أطيل عليك فأنت لست السبب بل الاختبار".

قاطعته حواء بحدة " قاتلك الله أيها التعس، أنا من خضعت للاختبار فما ذنب مالك بما اقترفته يدي؟

صمت فصمت، كانت ترتعب دوما من صمته لكنه تلك المرة كان رحيما بها فلم يطيل صمته ولكن كانت إجابته قاتلة لضميرها وصرعها أسفل قدميَ تأنيبه "وما ذنب أبيك أيضا؟ وما ذنب كل من طاله أذاكِ أم إنك نسيتِ ذلك؟. لست أنا التعس بل أنتم. ولم أجبرك على أي شيء بل كان كله باختيارك المطلق. وليس ذنبي إنني إله الأرض أتحكم بكم كما أرغب. تلك الحياة يحكمها القوة والسطوة أيا كان مصدرها هل فهمتِ ولكن لنكن منصفين فتلك المرة لم يكن خطأك".

- " ماذا؟".
- "نعم، لقد كانت نتيجة اختباره هو، ورفض أن ينصاع لتنفيذ أوامري وأنا لم أجبره على أيشيء نهائيا. فهو من أختار بالنهاية الانتحار هربا من تنفيذ الأوامر".
- " أتهزأ بي . من أين لك بمعرفة مالك وعلى فرض صدق كلامك فمالك لم يكن ليختار الانتحار أبدا، لم يكن يهرب ممن هم على شاكلتك، لكان واجهك بكل ما أوتي من قوة".

- وهل تعتقدين حقا إنك الوحيدة التي أتحكم بمصيرها ؟ إنك بلهاء . لم الصمت الأن . نعم عزيزتي فما يدور بخلدك صحيح، لقد قام هو أيضا بإجراء الاختبار. ولكنه رفض أن ينصاع لأوامري في اختباره الأخير، ولابد أن تعلمي عزيزتي أن لكل شخص نقطة ضعف ما إن تملكيها تكوني قد ملكتيه أيضا .ونقطة ضعف ذلك الجيل كله تلك القطعة المعدنية التي تمسكيها بيدك الأن. لكن السؤال حقا هل يعرف أي شخص من أنا سواء أنت أو مالك. هل يمكن أن تثبتِ إنني تحدثت معك، أو هل أنا متواجد بالفعل أم مجرد هلاوس تنتاب عقلك الخرف الذي دمرته الصدمات واحد تلو الأخر، أم مجرد تبرير واه لما اقترفته يدك من أثام. هيا أجيبِ هل تستطيعِ إثبات أي شيء متعلق بهويتي. مالك كان سيحارب سراب وهو علم ذلك جيدا فقرر إنهاء الجولة لصالحه بطريقته. وللحق يقال لقد كان أذكى منك بكثير وحزنت على فقدانه لكنه في النهاية ما هو إلا ترس من تروس ألتي التي أنفذ بها ما أريد".

كادت حواء أن تهشم الهاتف بين قبضتها لكنها وضعت يدها على فمها وأخفضت سمعها حتى لا يستمع أحد لما كانت ستقوله "وهل تعتقد أيها المختل إنك قد ملكتني، إنك لواهم حقا سوف أتوجه للشرطة وأخبرهم بكل شيء حدث".

- صدرت همهمة استهزائيه من مُحَدِثها "حقا، وهل ستعترفين بما اقترفت يداك" .
- "نعم ولنذهب كلانا للجحيم. حينها سنرى من أنت يا إله الأرض"
- "هه حسنا ؟ لقد أثرت حفيظتي حقا ولنر ما ستفعلين. يبدو إنك على وشك إمتاعي".

وأغلق الهاتف

ظلت حواء محدقة بالهاتف الذي بيدها وهي تبكي وترتجف مما تفوهت به فهل حقا ستفعل هذا أم كان مجرد تهديد في لحظات غضبها وحزنها على جدارها الحامي الذي تهدم وممدد أمامها بين الحياة والموت وهو للموت أقرب.

كانت تدفن رأسها بين كفيها تحاول التفكير فيما ستفعله. وما كاد يمر إلا عشر دقائق حتى لاحظت أن هناك ظل لشخص يقف أمامها فرفعت بصرها لتعلم لمن يعود الظل فوجدت شرطي يقف بجوارها ويسألها "هل أنت حواء عبد المجيد".

أجابت حواء بسرعة "نعم ، إنه أنا".

أمسك الشرطي معصمها يجذبها لتذهب معه "فلتتفضلِ معي".

سحبت حواء يدها مرتعدة وهي تتساءل عن سبب القبض عليها فهي لم ترتكب أي شيء مخالف للقانون. لكن الشرطي لم يمهلها الفرصة للاعتراض حيث أخرج لها أمر بإلقاء القبض عليها ولم يمهلها حتى تقرأه بل سحبها خلفه بكل عنف عقابا لها لعدم تصديقه في بادئ الأمر.

.....

الأثنين : 2018/1/1

الساعة : العاشرة صباحا

ألقت حواء بالأوراق على مكتبها وهي تتأفف وتتململ وقد شعرت بالإرهاق من كثرة العمل، وأخذت تضحك وهي تقول لنفسها صدق من أسمى العمل النظام الجديد للعبودية، وإنها حقا تتعجب من هؤلاء السيدات اللواتي تطلبن المساواة مع الرجل، فما أمتع أن تجلس المرأة بمنزلها وتهتم بنفسها ومنزلها وأن يعود الرجل ليجد جنته قد تزينت لاستقباله وأن حواه تقابله بابتسامتها

على أبواب جنته. حينها سمعت طرق على باب مكتبها يعقبه حديث مالك الذي يبدو أن حديثها لنفسها قد أسمع كل من بالمكتب "صباح الخير حواء جنتي، هههههه".

كان مزاجها غير معد لاستقبال مزاحه لذلك أجابت في اقتضاب دون النظر إليه "صباح الخير".

اقترب منها مالك وهو يتساءل "لما هذا الحزن".

غمغمت حواء بحزن "إنه إرهاق فقط، فأنا أعمل منذ الصباح ولم إنه ولو جزء بسيط من العقود".

نظر مالك في عقارب ساعته والتي وجدها تشير إلى بعد العاشرة بدقائق معدودة أي إنها تواجدت بالعمل من نصف ساعة فقط، قام بوضع يده على وجهه ليواري ضحكته حتى لا تغضب "حسنا حوائي ،أنا في خدمتك طوال اليوم وسأساعدك فلا تقلقي".

نظرت حواء لمالك وهي مسرورة فهو دوما ملاكها الحارس في تلك الغربة فمنذ أن وطأت قدماها تلك الشركة وهو من علمها كيفية كتابة العقود وكيفية التحاور وأخذ على عاتقه حمايتها من أي سوء قد يصيبها، فقالت بطريقة لا تخلو من الغنج الطفولي "لا أريد أن أرهقك فيكفي ما لديك من أعمال".

نظر مالك في عينيها السوداوين "وكيف يصاب العاشق بإرهاق وهو بجوار معشوقته، بل تواجدك نهاية الشقاء حبيبتي إنه النعيم بذاته".

ارتبكت حواء ووضعت يدها على خديها لتهدئ ذلك الاحمرار الذي طالهما وحاولت تغيير الحديث " حسنا، فلقد جنت براكش على نفسها. فلتنهي تلك العقود وقم بمراجعتها بعد ذلك ولتعلم أن أمامك حتى نهاية مواعيد العمل الرسمية ".

غمز لها مالك "حسنا ولكن أولا أين الثمن".

تراجعت حواء في توجس منه وهي تقوله "أي ثمن تريد وقد تطوعت إلى ذلك العمل يا مالك".

فرغ مالك فاه من تصرفها " يا حواء قذارة العقل يجب أن تكون بالرجال وليس بالنساء، فلا أعلم من أين أتيتِ بقذارة العقل تلك. وحتى لا يذهب عقلك إلى مالا يمكنا إرجاعه منه فكل ما أريده هو أن تعود ابتسامتك لمكانها الطبيعي فوق شفاهك حتى تنير وجهك وتنير عتمة قلبي".

ابتسمت حواء خجلا من تصرفها لذلك أعطت الملفات إليه "هيا يا مالك فلننهي ما ورائنا من أعمال لأنه يجب تسليمها اليوم".

بعد مرور أربعة ساعات من العمل المتواصل قال مالك "سأذهب لأشتري القهوة ولنستريح قليلا"

أومأت حواء برأسها موافقة "حسنا ولحين عودتك سوف أتفقد رسائلي".

ذهب مالك وقامت حواء بتفقد رسائلها وحينها رأت الرابط الذي قامت سماح بإرساله تذكرت كلام صديقتها فنظرت باتجاه باب مكتبها لتطمئن أن مالك ابتعد وهي تخاطب نفسها "فلنعب ذلك الاختبار حتى تصمت وللأبد". قامت بالضغط على الرابط وكان الاختبار تلك المرة (ماذا ينتظرك بعد دقائق معدودة). ضغطت على زر إجراء الاختبار وما هي إلا ثواني معدودة وظهرت النتيجة ملخصة بجملة واحدة أقبضت قلبها (جميع ما تعبت لأجله سيكون هباء منثوراَ) ومثلما حدث بالمرة السابقة حاولت إجراء الاختبار ولكن الرابط لم يفتح ثانيا. حينها أغلقت الهاتف وأخذت تلعن من قام بتصميم تلك الاختبارات. حينها دخل مالك متعجبا منها "من تسبين".

" الأحمق الذي وضع تلك الاختبارات وصديقتي البلهاء التي أجبرتني أن ألعبها" هنا صمتت حواء وأدركت الخطأ التي فعلته بسبب غضبها، فما كان يجب أبدا أن تخبر مالك لأنه قد حذرها

مسبقا وجعلها تعده ألا تلعبها مطلقا، وأدركت حجم خطئها عندما تحول لون وجهه إلى الأحمر، وكانت تلك أول مرة يعلو صوت مالك ويصيح بوجهها "ألم أقل لكِ أكثر من مرة أن تلك المواقع لا يجب أن تدخليها. ألم أحذرك منها. لما كسرت الوعد الذي قطعتيه. فلتجيبي؟

صدمت حواء من ردة فعله فهي لم ترتكب جريمة حتى يصبح كالثور الهائج في وجهها، يا له من ذكوري لا يريد أن يخالف أوامره أحد. لكن كل ما خرج من شفتيها "لما كل تلك العصبية أمن أجل لعبة سخيفة؟ لقد لعبتها مرة وحيدة. حسنا، لقد لعبتها مرتين ولكن لجعل سماح تصمت فقط لا أكثر لذلك لا تشغل بالك ولا يستحق الأمر ردة الفعل تلك".

هم مالك بقول شيء ما ولكن القهوة التي كانت بيده سكبت على الأوراق وأغرقتها جميعا. فشعر بالصدمة ونظر إلى حواء والتي كانت تصرخ وهي تحاول إزالة الأوراق بسرعة "لا، لقد ضاع كل شيء فجميع الأوراق قد تلفت. يا الله إنه مجهود أسبوع كامل".

رد مالك معتذرا "أنا. أنا متأسف حقا يا حواء لم أقصد ذلك".

تداركت حواء إنه بردة فعلها تلك قد أحرجت مالك لذلك ردت عليه مسرعة "إنه ليس خطأك. لا يشغل لك بال إنه مجرد حظ عثر لا أكثر، يكفي ما فعلته من أجلى اليوم".

فور إنهاء جملتها وجدت المهندس عوني أحمد مدير الشركة يقف عن باب مكتبها ويسألها عن العقود والتي كان يجب أن تسلمها بالأمس وهل انتهت منها أم لا. وعندما همت حواء بالإجابة عليه بأنها قد تلفت سبقها مالك بالرد "لقد أعطتني الأنسة حواء الأوراق بالأمس بالفعل ولكن للأسف سكبت عليها القهوة بالمنزل وتلفت بأكملها لذلك حضرت اليوم وكنت سأطلب من الأنسة حواء مساعدتي في الانتهاء منها بأسرع وقت، أكرر أسفي واعتذاري لك".

" فعلت ماذا؟ ألم تعلم إن تلك العقود سوف تكلف الشركة ملايين الجنيهات في حالة عدم تواجدها اليوم بالاجتماع، إنها المرة الأولى التي تكون مهملا فيها وأنا لا أقبل بالإهمال خصوصا إنه سيكلف الشركة ملايين، سوف أعرض أمرك على مجلس الإدارة للبت فيه رغم معزتك لدي يا مالك فهذا خطأ لا يغتفر"

رد مالك وهو مطأطأ الرأس على توبيخ عوني له "إنه خطأ غير مقصود يا سيدي والأنسة حواء لا ذنب لها فيما حدث، وسأتحمل عقبات ذلك الخطأ وحدي".

نظر إليه عوني بغضب وحزن على مصيره في أن واحد، ووجه حديثه إلى حواء " وأنت يا حواء فلتحاولِ صنع نسخ جديدة من تلك العقود بأقصى سرعة وسوف يساعدك مالك في ذلك، أمامك ساعتان فقط".

ردت حواء "أمرك أستاذ عوني". وفور خروج مدير الشركة من مكتبها صاحت في وجهة مالك "لماذا فعلت ذلك إنه خطئي فتلك الأوراق كان يجب تسليمها بالأمس ولكني تكاسلت عنها بسبب الحفل ورغبتي في حضوره ألا تعلم إنك ستعاقب بسبب ذلك".

رد مالك مهدئا لها "نعم أعلم ذلك، ولكن حبيبتي يجب أن تعلمي عندما يتعلق الأمر بأن يطال إحدانا الأذى فسوف أختار نفسي للتأذي بدلا منك". وحينها دنى منها ونظر في عينيها وقال "فلا أستطيع أن أتحمل حدوث مكروه لك ويجب أن تكوني على يقين بذلك. هل فهمتِ؟".

ردت حواء "حسنا فلنسرع ولنحاول الانتهاء من تلك العقود سريعا قبل الاجتماع، حتى لا يكون عقابهم مخفف، فلا أتحمل خسرانك".

مالك مبتسما "يا لك من مراوغة دوما تغيرين مجرى الحديث". ضحكت حواء وقامت بإعطائه رزمة من الأوراق لصياغة العقود من جديد وفي عقلها يدور هاجس لقد صدق الاختبار حقا.

.....

الجمعة : 2018/4/20

الساعة: الثانية عشر ظهرا

أيقظ حواء من نومها رنين هاتفها والذي كانت تضيء شاشته برقم خاص معلنا لها هوية من يتصل بها لذلك اعتدلت في جلستها وقامت بالرد "ماذا تريد".

أتاها صوت محدثها الرخيم "إنك لم تقومي بإجراء الاختبار حتى الأن".

حكت حواء مؤخرة رأسها كمحاولة للاستيعاب "وهل توقظني من نومي لإجراء الاختبار ألم يحتمل الانتظار إلى أن أستيقظ من نومي".

أتاها رده كالصاعقة "نعم ، فأنا من يحدد في أي وقت تقومين بإجرائه. ولا يهمني راحة أمثالك. منذ متى يفكر السيد في راحة عبيده".

كم تتمنى لو قبضت روحه بيديها، هذا الخنزير دوما ما يهينها وكأن بينهم عداء السنين وكأنها قامت بقتل أحبائه في الحياة الأخرى. كم راودتها أحلام إنه مقيد أسفل قدميها وهي تطأ وجهه بكعب حذائها وتلكزه به في جنباته. ولكن ليت حرف تمنى ليس له محل من الحقيقة. عادت للواقع وقد فقدت الأمل من كل شيء. ولعلمها التام إنه لن يصمت إلا عندما تجري الاختبار "حسنا سأدخل على الرابط الأن". دخلت حواء على الرابط الذي أرسله لها ووجدت أن الاختبار تلك المرة هو (ما أهم حدث ستعيشه في سنة 2018) وكانت النتيجة صادمة غير متوقعة

ألجمتها لبرهة من الزمن (ستقوم بخطف طفل) . صمتت حواء لدقيقتين غير مصدقة ما كتب أمامها ثم قالت بحدة "هل جننت يا هذا، هل أخبرك أحد إنني ذات سوابق لتجبرني على تلك الحقارات".

أجابها بكل هدوء كأنه يطلب منها موعدا غراميا "لا أيتها الحمقاء لم أجن، ولا تتعجلي فقد أجعلك من ذوات السوابق إن أردت ذلك فلا تختبري صبري". وأكمل دون أن يعطيها فرصة للرد "إليك بعض التفاصيل ،ستذهبين إلى حديقة الحيوان غدا وعند الساعة الثالثة عصرا ستتوجهين إلى قفص الأسود ستجدين سيدة تقف مرتدية قميصا أحمر وبيدها طفل ،سوف أرسل لكِ صورة الاثنان مع بيانات الأم وبعض المعلومات عنها ،وكل ما عليك فعله هو أن تقومي بخطف ذلك الطفل".

قاطعته حواء غير مصدقة ما يتفوه به "مستحيل إنك تحلم".

هنا رد عليها وصوته يهدر "إياك أن تقاطعيني مرة أخرى ،فأنا لم أنتهي من حديثي بعد واستكمل حديثه كأن شيئا لم يحدث، بعد ثلاثة شوارع من حديقة الحيوان ستجدي سيارة سوداء رقمها " ع م أ . 169 ،ستضعين الطفل بها. وينتهي دورك هنا".

قامت حواء بسبه "أيها القذر الفاسد المختل لن أفعل ذلك بتاتا مهما حدث. وكيف عرفت كل تلك المعلومات عن تلك الأم ؟ وماذا سيحدث للطفل لماذا تريده؟".

كم تكره سماع صوته، تتمنى فقط لو يصيبه الخرس أو تبلى أحباله الصوتية. فلكم تكرهه وتكره صوته وتتمنى ألا تسمعه مجددا. أخرجها من تمنياتها صوته وهو ينعق "حسنا مصير الطفل

شيء لا دخل لك به أحدهم دفع ثمنه وهذا ما يهمني فقط، وبالنسبة إلى المعلومات الخاصة بوالدته فحمقاء أخرى قد اجرت الاختبار. هل أرضيت فضولك الأن".

كانت تلهث هل أصبحت تعيش في زمن يباع فيه البشر إلى من يدفع اكثر، كيف ستفعل ذلك في طفل لا ذنب له في تلك الدنيا سوى أن معتوه دفع لمختل مبلغ من المال ليتحصل عليه. كل ما دار بخلدها ظهر جليا على نبرة صوتها وهي تتحدث كاظمة غيظها "فلتذهب للجحيم انت وأوامرك ، فلن أنفذها. فلن أخسر أكثر مما خسرت"

" ذلك الوهم بأنك قد تهربي من الطوق الذي وضعته حول عنقك رغما عني لابد أن تستفيقِ منه سريعا وإلا ستندمين أشد الندم. حسنا ، أعتقد أن ما حدث لوالدك سوف يحدث لوالدتك أيضا ما رأيك بهذا الرد كإجابة على تطاولك. هل تتذكرين ما حدث أم إنك تتدعي نسيت ما حدث؟".

أجهشت حواء بالبكاء، بكاء على حالها، وبكاء على أبيها، وبكاء خوفا على والدتها، أخبرته من بين دموعها وبصوت مخنوق إنها سوف تنفذ ما يطلبه منها ولكن ليبتعد عن والدتها وأخبرته ان يرسل الصور والمعلومات وأنهت المحادثة وهي تدعو الله وترجو منه الخلاص من ذلك الجحيم. لكن هل يستجيب الله لها بعدما اقترفته يدها في حق الأبرياء.

.....

الخميس: 2018/1/4

الساعة: السادسة مساءا

دلفت سماح من باب الشقة مرهقة بعد يوم عمل طويل، فوجدت حواء تجلس على الأريكة وهي تنظر لها في قلق وفور رؤيتها سألتها "أين كنتي لقد قلقت جدا عليك فلم أرك منذ يومان".

ألقت بنفسها بجوار حواء وقامت بإلقاء حذائها بعد خلعه أمامها، وقامت باحتضان حواء ووضعت رأسها على كتفها وهي تغمغم "أعتذر من عدم اتصالِ ولكن ضغوط العمل فالعمل كثير هذه الأيام، لا أعلم هل كل البشر أصبحوا مرضى أم ماذا".

حاولت حواء التخفيف عليها فهي تعلم كم أن طبيعة عملها الشاقة حرمتها من الاستمتاع بالحياة فقالت لها ممازحة إياها "حسنا سيادة الطبيبة، سامحتك. ولكن أتعلمين فإن عملك هذا لم يؤثر على جمالك مطلقا، فما زال يغلفك ذلك الرونق المشع الذي يحيط بك في أي وقت ومكان".

"تمزحين معي لقد خسرت معظم وزني تلك الفترة، وبشرتي صارت جافة ومرهقة" .سماح كانت حقا جميلة زرقاء العينين واسعتان كالبحر ، خمرية اللون صافية البشرة والقد، ذات طول فارع يتناسب مع جسدها الفتان، رقيقة الملامح، ذو شعر كستنائي قصير، ممتلئة قليلا، هنا التفت سماح إلى حواء وأكملت حديثها "أخبريني كيف كانت أحوالك، يبدو عليك الشرود ويصيب كبدك الغم".

حواء متنهدة "أه لو تعلمين، لقد مررت بظرف سيئ للغاية. وقصت على سماح ما حدث في العمل وكيف إنها ومالك لم يستطيعا الانتهاء من كل العقود قبل الاجتماع برغم الجهد المبذول. إلا إنه لم يوق الشركة من الخسارة وإن كان قلصها، وبناء عليه تم إحالة مالك للتحقيق وسيبت في مصيره بعد ثلاثة أيام من قبل مجلس إدارة الشركة".

هنا بدا الضيق على سماح وأشفقت على حال صديقتها "هذا متوقع من مالك فأنت تعلمين إنه يحبك، وقد يذهب للهلاك فقط لحمايتك".

- ردت حواء "نعم أعلم ذلك ولكن.."

- ولكن ماذا، لما التردد؟ ألا تحبين مالك؟
- ردت حواء مسرعة حتى لا تسيء الفهم "بل أحبه كثيرا".
- حسنا . لماذا هذا التردد إذا ؟
- أطلقت حواء زفرة لتقلل من شكوكها "هناك شيء ما يخفيه مالك ،شيء يمنعه من اتخاذ خطوة الارتباط بي وتكليل قصة حبنا برباط مقدس يربطنا معا للأبد ،وكلما حاول البوح لي به يتلعثم ويعتذر ويؤثر الصمت".
- حاولت سماح إزالة القلق من صديقتها "جميعنا لدينا شيء نخفيه يا عزيزتي . لكل منا صندوق أسود خاص به لا يسمح لأحد من الاقتراب منه مهما كان ذلك الشخص مهما ومصدر ثقة" وقامت بتغيير سبب الحوار لتسري على صاحبتها ولتنسيها مصابها قليلا "حسنا لنترك مالك الأن ولتخبريني هل قمت بإجراء الاختبار؟".
- هنا تذكرت حواء ما حدث وقامت بضرب سماح وقالت "هذا من أجل الاختبار السخيف" وقصت عليها ما حدث.
- نظرت إليها سماح متسائلة " أولو تلحظين أن ما تنبأ به هذا الاختبار قد حدث بالفعل".
- ردت حواء مستنكرة "ما هذه السخافات التي تتفوهي بها".
- إنني أُقول ذلك فحسب.

تركتها سماح وذهبت للاغتسال وظلت حواء تفكر. لعل حديث سماح أصاب وتر الشك بداخلها فهي منذ ما حدث وهي تفكر مليا وتعتقد أن الاختبار كقارئة الطالع ابدا، بل لو صح التعبير فالاختبار مثل بلورة زجاجية تخبرها ما الذي سيحدث بمستقبلها. كل ما كانت تفكر به أه لو أن هذا الاختبار لم يفسد رابطه لكانت لعبته مرة أخرى لعل النتيجة تكون لصالحها وتجد من ينجد مالك من براثن المستقبل الرمادي الذي ينتظره.

.....

الجمعة : 2018/4/27

الساعة: الواحدة ظهرا

رن هاتف سماح فأخذته مبتعدة حتى لا تنتبه حواء لها وهي تجيب "أهلا بك، أعتقد إنني أتممت جزئي من اللعبة، وحان دورك لتفِ بوعدك".

أتاها ذاك الصوت المعدني من بين ثنايات سماعة الهاتف "حسنا أيتها الحورية، لقد أطلقت سراحك وحررتك من صك عبوديتك، لقد كنتِ حقا مفيدة لي وما زلت، ولكنني لا أخلف كلمتي أبدا".

ضحكت سماح باستهزاء " حوريتك لا بأس، متى يمكنني السفر. فلم أعد أتحمل رؤية وجه حواء أكثر من ذلك".

أتاها الرد فور انتهائها من جملتها كأن من يحدثها يعلم ما الذي كانت ستتفوه به مسبقا "لقد وفرت لكي وظيفة بمشفى في بلد عربي، أجري الاختبار وسوف تعرفين أسم المشفى والدولة العربية وستجدي التأشيرة أمام باب منزلك، ولتعتبر تلك هدية نهاية خدمتك، إلى اللقاء أيتها الشرسة".

ردت عليه سماح "لا أريد أن اسمع صوتك ثانيا" وأغلقت الهاتف.

أجرت سماح الاختبار الذي أرسل له رابطه والذي كان بعنوان " أين ستكون بعد ثلاثة أيام " لذلك عرفت أن ميعاد سفرها بعد ثلاثة أيام وضغطت زر اللعبة وكانت النتيجة بأنها ستعمل بمشفى العبد بالسعودية . ابتسمت سماح وتنهدت بارتياح وقالت محدثة نفسها أخيرا أتت تلك اللعبة

بفائدة فهي لم تكن تحلم بوظيفة كتلك. كانت تثب بتجاه باب منزلها من فرحتها من خروجها من ذلك الكابوس، أيا كان الثمن الذي دفعته فكان كل ما يهمها حقا هو الانعتاق من ذل تنفيذ الأوامر والانصياع لإهانات ذلك النرجسي، تناولت التأشيرة من أمام منزلها، وقررت ألا تخبر حواء بسفرها. فالأجواء بينهما متوترة في الفترة الأخيرة ولا تريد أي عارض يعكر صفوها.

.....

الأحد : 2018/3/4

الساعة : العاشرة مساء

رن هاتف حواء وهي في بيت أهلها بالشرقية نظرت للشاشة ووجدته رقما خاصا فلم تقم بالرد فظروف المنزل والحزن الذي يغلف جنباته كان يكبل يديها ويمنعها من أن تضغط على زر الإجابة. لكن أمام إلحاح جرس الهاتف ومطلبه المتزايد بالرد عليه وعندما أطلت شاشتها برقم خاص، أخبرت نفسها لعل الأمر يخص والدها لذلك أسرعت بالتقاط الهاتف والرد "مرحبا".

أتاها صوت محدثها والذي كان غير مألوف على مسامعها لتستشف منه هوية المتصل "البقاء لله".

انتظرت حواء أن يفصح محدثها عن هويته لكن ران الصمت على حديثهما، فشرعت بالحديث "ونعم بالله ، من المتحدث".

" لا يهمك هويتي في شيء، كل ما يهمك هو أن تعلمي إنني السبب في وفاة والدك، بالأصح أن من أمر بقتله".

حواء ردت بصوت منخفض يشوبه الانفعال حتى لا ينتبه الأخرين عليها "ليتك تراعِ يا هذا أن الوقت ليس مناسبا للمزاح فلم تمر فترة الحداد بعد. وحتى ننتهي من ذلك الهزل فلقد ألقت الشرطة القبض على مرتكب الحادث". همت بإغلاق الهاتف في وجه ذلك الصفيق الذي لم انتهك قدسية الموت بعبثه، لكنها سمعته وهو يكمل حديثه " بالفعل ألقوا القبض على اليد التي بطشت بها فذلك الأرعن هو المنفذ فقط وأنا العقل المدبر لكل ما يحدث وسيحدث في حياتك القادمة".

حواء بنفاذ صبر علقت على هرائه "هل ستخبرني من معِ أم سأقوم بإغلاق الهاتف ولا حرج عليَ". .

كان على يقين بأنها لن تنفذ ما هددت به بسبب ذلك اللعين المغموس في حمضنا النووي المسمى الفضول لذلك أكمل حديثه دون أن يعيرها أي اهتمام " لا تتسرعِ، أردت فقط أن أخبرك أني السبب أيضا في حريق منزلك بالقاهرة، وكسر يدك، وكذلك السبب في ترقيتك، وفي تحرش عوني بك في العمل. ماذا هل تنكرين تحرشه".

التفتت حولها في جزع معتقدة أن هناك من يراقبها لكن عندما لم تجد سوى النساء المتشحات بالسواد سيطرت على خوفها وأكملت ما كانت تتفوه به " من أخبرك بكل هذا؟ بل الأصح من أخبرك بحادثة التحرش فأنا لم أخبر بها أحد خوفا من رد فعل مالك".

ضحك من سذاجتها "حواء عبد المجيد سلامة، عشرينية، من مواليد الشرقية، خريجة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية دفعة 2009 بتقدير جيد جدا، والدك رحمة الله عليه رجل أعمال، ووالدتك سيدة منزل وبالمناسبة إنها جميلة حقا لقد ورثت عيناها الواسعتان، لديك أخ طبيب بالصومال، وتحبين مالك محمد زميلك الذي كان يعمل معك بالشركة والذي ضاع مستقبله بسبب

غباءك، وصديقتك ورفيقة سكنك سماح محمود طبيبة بمستشفى النور الخاصة بجانب عملها بالقصر العيني، لقد أردت أن أخبرك إنك حقا جميلة فهذا واضح من صورك، رغم إنك أصبت وأنت صغيره بالإلتهاب السحائي ولكن أنجاك الله منه. هل أكمل أم اكتفيت من تلك المسرحية الهزلية؟".

صرخت حواء في محدثها دون أن تبالي بتلك العيون المرافقة لكل همسة من همساتها "من أنت أيها اللعين وكيف عرفت تلك المعلومات".

- " أنت من سبق وتنازلت عن تلك المعلومات بملء إرادتك، أحقا لم تعرفيني إلى الأن أنا الاختبار عزيزتي".
- حواء "ماذا؟".
- الاختبار الذي وضعت فيه عنوان صفحتك الشخصية بالفيس وكذلك رقمك السري، وما إن فعلت هذا عرفت كل شيء عنك ، عن طريق صفحتك على الفيس بوك والماسنجر والإنستجرام، ومنه تسللت إلى هاتفك الخاص وعرفت أرقام كل من تهتمين بهم وعن طريق الهاتف أيضا عرفت أسرارهم وسمعت كل همساتك وكل مناجاتك. أصبحت أسفل جلودكم وأقرب إليكم من أوردتكم. أرأيت أن تحذير مالك لك كان في محله؟".
- حواء غير مصدقة لما يحدث ولكن حاولت جاهدة التماسك حتى لا يعرف إن الخوف قد تمكن منها بالفعل، وأن الرعب يتلاعب بأوصالها فتعمدت الرد بسخرية "وهل عرفت ذلك أيضا".
- تجاهل نبرة الاستهزاء الواضحة بصوتها "أنا أعلم كل شيء وأتحكم بكل شيء، فجميعكم بالنسبة لي دمى احركها مثلما أشاء".

- أجابته بنبرة يملأها التحدي "وهل تصدق تلك الخرافات التي تتفوه بها، من تظن نفسك يا هذا لتتحكم بالبشر كيفما تشاء".
- ليس كل البشر بل الحمقى الذي أقحموا أنفسهم بملء إرادتهم في الاختبار فأنا لم أجبر أحد مطلقا، بينما إن كنتِ تتحدثين عن التصديق من عدمه فلقد أخبرتك من قبل أنه أنا الاختبار الذي صدقتيه أيتها البلهاء مسبقا. وأصبحت تدمنيه وتجريه يوميا وتفرحين بخبر سعيد يظهر لك في ذلك الفضاء الأزرق. وتتطيرين ويتعكر صفوك إذا أخبرتك شيئا سيئا .هل أنا محق؟".
- وما دخل لعبة بما نحن في خضامه الآن. فجميع الاختبارات كانت نتائجها مصادفة بحته، لا أنكر تأثري بها لكن من باب التفاؤل وتغيير روتين يومي كنوع من التسلية.
- سأتغاضى عن كذبك بأنها كانت تسلية فقط، لكن ليكن بعلمك بأنه لا يوجد ما يدعى صدفة تحت سمائي فكل شيء معد له مسبقا ،فأنا من أضع تلك الاختبارات وأنا من يضع إجابتها وأنا من أقوم بتنفيذها على أرض الواقع، حتى قبل أن أخبرك بسبب موت والدك كنت تعلمين من صميم قلبك أن موته كان إحدى نتائج تلك الاختبارات، الست محق؟ حسنا حتى لا تطيلي عليَ الحديث أكثر من ذلك، فلقد أصبت بالصداع, يجب أن تعلمي إنك سوف تلعبين تلك الاختبارات حتى أطلب منك التوقف سواء شئت أم أبيت. حان وقت دفع ثمن خراقتك.
- ضحكت حواء بسخرية يشوبها توتر واضح " يا لك من وغد مغرور، وما الذي سيجبرني على إطاعتك. حتى إن كل ما أخبرتني به صحيح وإنك من غدرت بأبي هل تعتقد أن هذا سيخولك أن تجعلني أنفذ ما تريده وأن أنساق وراء اختلالك أيها النجس".

- مرت أكثر من عشر دقائق لم تكن تسمع إلا صوت تنفسه لدرجة إنها اعتقدت بتحقيقها انتصار عليه فقرر الصمت، لكن وبكل هدوء أتاها صوته تبا له ولسيطرته الفولاذية على حديثه وأعصابه " ببساطة الخوف هو ما سيجبرك ويجبر كل الأشخاص على التحرك من ثباتهم. إنه الخوف هو مفتاح التحكم بالبشر فالبشر حين يخافون يتحركون، يتفاعلون يعبدون، يكرهون، يخونون، ويقتلون إن لزم الأمر. أنت مثلا خوفك من أن يحدث لوالدتك مثلما حدث لوالدك. خوفك من أتسبب في طردك من عملك. أو في تجريدك من ثورتك التي ورثتيها من أبيك. أو لنقل تجريدك من شرفك، الخوف على هذا الذي ضحى بكل شيء مقابل حمايتك ،مالك. هناك الكثير تخافين عليه وهذا ما سيجبرك على اختيار وضع طوق الطاعة برقبتك".
- حواء شرعت بالبكاء وحاولت تمالك نفسها، ما الذي يحدث ومن يكن لها كل هذا الحقد ليفعل ذلك فهي لم تؤذي مخلوق عن عمد أبدا. حاولت تكذيب شعورها الدفين بأن ما يحدث ليس مزحة " وهل يجب تصديقك، فأبسط ما يمكنه نفي ما سرى على لسانك. هو لماذا تفعل ذلك وتصنع اختبار وتتجسس على الأخرين وتجبر الأخرين على تنفيذ أوامرك، وأنت بكل بساطة يمكنك تجنيد تابعين لك مقابل مبلغ من المال على الأقل تضمن ولائهم".
- وأين المتعة في شراء بعض الحثالة، وهل يمكنك أن تضمني ولاء من يبيع شرفه مقابل حفنة من الورق. المتعة كل المتعة في ارتعاشه صوتك عند حديثي، في انتفاضة جسدك عندما تجدِ رقمي ينير هاتفك، في انقطاع أنفاسك منتظرة أوامري، في تلاعبي بمصائركم وتحريك قطع الشطرنج على لوح الحياة. تلك هي متعتي فأنا لا أفعل شيء سوى أن أراقب وأجعلكم تتراقصون حول أقدار بعضكم البعض متمنين ألا تكون تلك رقصتكم

الأخيرة حتى ولو داست أقدامكم وجوه من تعثر إثناء الطواف في فلكي. لما أنهك خزنتي برواتب ورشاوي وإكراميات بدلا من أن تتكدس من خلف تصرفاتكم بكل ما تشتهي الأنفس من نفائسها. لما أخاطر بانكشاف هويتي لبعض المغيبين من لا يعلمون أهمية المعلومات في عصر لا يحكم قوته المطلقة إلا من يمتلك المعلومات. أعلم وبالرغم مما سردته سابقا وبسبب احتلالك أدنى مصطبة في الهرم الداروني للتطور لن تصدقيني، ولكن لا بأس فكري معي للحظة هل تعتقدين أن طالب جامعي ابن شخصية مرموقة بالمجتمع ذو سمعة طيبة بين أوساط المجتمع يقوم بسحل والدك خلف سيارته عدة شوارع ثم يقوم بدهسه بالسيارة حتى فارق والدك الحياة. وكل هذا دون سابق معرفة بينهما هي مجرد مصادفة؟ هل تعتقدين ذلك؟.

- سرت قشعريرة في جسدها وارتعدت بالفعل أوصالها " كيف عرفت تلك المعلومات، فالقضية قيد التحقيق ولم يتم نشر تلك المعلومات نهائيا بناء على طلب المحامي من النيابة والقضاء، لكن على كل فقد يكون أحد أمناء الشرطة هو من قام بتسريب تلك المعلومات إليك".
- حسنا ما رأيك بتلك المعلومات إذا، غدا سيصدر تقرير الطبيب الشرعي والذي سيكون فحواه أن القتل كان خطأ بل بالأصح أن الحادثة برمتها كانت خطأ والدك حيث أنه ووفقا للسحجات والكدمات بجسده والبحث بموقع الجريمة وظروفها وملابستها فإن والدك هو من قام بالاستناد على السيارة من الخلف وعلقت ملابسه بها مما أدى إلى سحله عدة شوارع دون أن ينتبه المتهم له ولكنه وفور تداركه لما يحدث اوقف السيارة فجأة مما جعل والدك يندفع أسفل إطارتها وتم دهسه بالخطأ.

- حواء صاحت غضبا" ما هذا الهراء ، وهل سيصدق أحد هذا الهراء وهناك بالأدلة فيديو تم التقاطه من كاميرا أحد المحلات بالشارع التي وقعت فيه الجريمة، ليس فقط تثبت إنها كانت جريمة قتل عمد بل مع سبق الإصرار".
- عن أي فيديو تتحدثين، لا يوجد مثل هذا بل مجرد وهم صنعه عقلك. ويمكنك أن تسألي محامي عائلتك عن هذا الفيديو، لا يوجد أي أدلة سوى تقرير الطب الشرعي وسيجبرون على تصديقه. سيجبرون هل تفهمي، فالقاضي سيصدقه ويعتبر الواقعة قتل خطأ وسيصدر حكمه بالحبس ستة أشهر فقط وغرامة 200 جنيه فقط وذلك بعد أسبوعين من الآن. دية والدك رخيصة حقا فالسيجار الذي أتنشق هواه أغلى منه. لو كان فقط تنازل عن جزء بسيط من مبادئه لكنتِ الأن تنعمين في رحابه".
- كانت تحرك قدمها بعصبية واضحة وتشعر أن الأرض اختفت من تحتها، ما مقصد قوله وما الذي كان يجب أن يتنازل أبيها عنه، هل باعهم المحامي وقبض ثمن دم أبيها لذلك يعلم هذا الخنزير الكثير، لكن مهلا هناك أشياء لا يعلمها المحامي أو أي شخص على وجه الطليعة كيف علم بها هب فقط حبيسة مفكرتها الإلكترونية بهاتفها. كثير وكثير من التساؤلات شلت تفكيرها وأعجزتها عن الحكم السليم على الموقف. عندما وجدت نظرات والدتها لها والتي تؤنبها فيها بسبب فعلتها قامت مسرعة بالرد لإنهاء المكالمة ولكن بطريقة لا تجعله يعتقد إنه نال منها "لقد علمت منذ البداية إنك مجنون وقد تأكد لي ذلك ،فلا توجد مثل تلك السرعة في المحاكم المصرية. إلى اللقاء لقد كدت أن أصدقك". سمعته وهي تغلق الخط يخبرها بأن تنتظر مكالمته ورابط الاختبار بعد أسبوعين.

.....

الأثنين : 2018/1/1

الساعة : الخامسة عصرا

جلس مالك في المقهى شارد الذهن غير مبالي بالنادلة التي وضعت القهوة أمامه في غنج كمحاولة منها للفت انتباه هذا الفلك التي تحوم في فلكه منذ أن رأته. وكمحاولة أخيرة منها لسرقة نظرة عابرة تروي ظمأ شغفها سألته عما إذا كان يريد شيء أخر ولكنه لم يجب من الأساس عليها لذلك تركته وانصرفت خالية الوفاض.

كان كل ما يشغل باله هو حواء وما حدث لها. يعصف بذهنه كل الشرور التي قد تحدث لها، من هذا الذي أقحمها في هذه الدوامة ولم دوما المرأة لا تنفذ فقط ما قيل لها، ألا تعلم إنه لا يرجو من هذا الدنيا إلا راحتها وأمانها. أمسك القهوة بيده لعلها تطيب جروح عقله النازف وعندما هم باحتسائها رن هاتفه فأجاب مسرعا "هل تصدقني إذا أخبرتك أنني كنت أنتظر مهاتفتك بفارغ الصبر".

- "حقا ؟ تلك سابقة دوما ما تفاجئني يا مالك"
- علت وجه مالك ابتسامة ساخرة عبثية وقال بصوت يعلوه الرجاء أكثر منه التحذير فهو يعلم إن كل ما يملكه أمام هذا الكائن الذي لا يعرف كنهته إلا الرجاء "فلتستمع إلى جيدا ،حواء لا دخل لها بالاختبار، أخرجها من تلك اللعبة وأنا سأنفذ مهامها جميعا".
- "من حواء لا أعلم عن ماذا تتحدث؟".
- بدت العصبية في صوت مالك وهو يخبره "لا تمزح معي وهل تعتقد إنني مغفل، لقد علمت أن هنالك غرض من طلبك سكب القهوة على العقود، رغم إنني أعلم أن ذلك ليس السبب الرئيسي خلف سكب القهوة لكنه أحد الأسباب بالتأكيد".

- ضحك محدثه طويلا ثم أجاب "إنك الشخص الوحيد الذي أحترمه بين هؤلاء الغوغاء. فلديك مستوى عالي من الذكاء، ولكن لديك حماقة أيضا أدخلتك تلك اللعبة وماضٍ مخز تم استغلاله جيدا لأشكلك كيفما أريد".
- مالك بنفاذ صبر "لا تراوغ. لا تدخل حواء بتلك اللعبة وأنا سأخذ دورها كما سبق وأخبرتك، أنت تعلم إنني أفضل منها. فقط أبعدها".
- "بداية لست أنا من قام بإدخالها اللعبة فأنا لا أدخل أحدا . بل صديقتها سماح من فعلت ذلك هل تصدق صديقة طفولتها أقحمتها بلا تردد فقط لتنجي رقبتها من أسفل مقصلتي. هل تتذكر من أدخل سماح للعبة، ههه نعم إنه أنت، أعتقد إنها ردت إليك الدين. وأخيرا فهل تعتقد إنك بمكانة تخول لك المساومة والمقايضة لا تجعل حبي لك ينسيك إنك مجرد دمية لا أكثر".
- رد مالك بصوت أختنق من البكاء الذي كان يقاومه "أرجوك، فلترحم تلك الروح البائسة وتتركها بنقائها وسذاجتها. ألا يكفيك هؤلاء المعذبين الذي تكدس بهم جحيمك ".
- "لم أعتدك ضعيفا هكذا يا مالك، أإمرأة تهز عرش كبريائك الذي اعتده دوما وتجعل رقبتك تنحني لي بتذلل وخنوع. لقد قضي الأمر ولقد دخلت حواء اللعبة باختيارها، فأنا كما أخبرتك مسبقا لم أجبر أحدا على شيء بل كله بمليء إرادتكم وما كسبته أيديكم".
- صاح مالك بمحدثه لدرجة لفتت له أنظار مرتادي المقهى" أيها النغل، ألا تفعل معروفا ولو لمرة واحدة فقط في حياتك. قاتلك الله أيها الفاسد لقد نفذت كل أوامرك بدون أي مطلب وتستكثر تنفيذ هذا الطلب لي".
- تحدث ببطء وروية مشددا على كل حرف ينساب من بين شفتيه "وأين العدل إن استثنيتها من الاختبار، هل أتركها في النعيم دون أن تذوق ويلات جحيمي، هل أتركها

دون أن تدفع ثمن حريتها، عالمي لا يسوده إلا العدل ولا أستثني أحدا. ثم هل تعرف الله يا مالك بعد كل ما اقترفته يداك، هل تجرؤ على ذكر اسمه، هل تستطيع حتى التضرع له والدعاء له بتخليص روحك وروح حبيبتك من براثني. إن كنت تستطيع هيا توجه له وقف بين أيديه خاشعا ذليلا وأرني ماذا سيحدث. بينما مسبتك لي بالنغل أغضبتني كثيرا ،يبدو إنك نسيت من منا النغل يا مالك .وستدفع الثمن". وأغلق الهاتف تاركا مالك هائم في الضياع والتيه كبني إسرائيل لا يعرف ما هي وجهته.

.....

الخميس : 2018/1/4

الساعة : العاشرة مساءا

ظلت حواء تفكر فيما قالته سماح . هل حقا ما تنبأت به تلك اللعبة حدث أم أنها مجرد مصادفة لعينة؟ وهل يمكن حدوث ذلك حقا؟ لقد قيل لها كذب المنجمون ولو صدقوا، فما بالها بلعبة خرقاء لا يعلم مصممها عنها أي شيء مطلقا. هل للفضاء الأزرق منجمون كما الواقع. لكن ولنفترض صدق هذا ألا يعد تصديقها لما ورد بهذا الاختبار نوعا من قلة الإيمان وعدم الثقة بالله وحكمه. هل معرفة الغيب حرام أم أن الطرق التي كان يتبعها الغاوون لمعرفته هي الحرام. أليس من الحرام أن تكون لديها مقدرة معرفة الغيب وتلافي أخطاره دون أن تغضب الله وتهدرها بكل بساطة بسبب وعدها لمالك. كل تلك أسئلة كانت تراود ضميرها الذي اتخذ دور السوط يجلد روحها ويؤنبها على ما ستقدم عليه. ما زاد حيرة حواء حقا أنه كلما رغبت في تكرار الاختبار فالرابط لا يستجيب. كانت تريد بشدة أي رابط صالح لتجربه فقط لترضي فضولها ولتخرس تلك التساؤلات التي تقضي على هدوءها النفسي. يبدو أن هذا الفضاء الأزرق حقا يقرأ ما تفكر فيه، بمجرد أن فكرت في الاختبار وجدت أمامها العديد من الروابط المقترحة ضمن الألعاب. لماذا لم اجرب مرة أخرى؟ مرة واحدة فقط. ولكن ذلك سيغضب مالك حقا. حسنا إنها مرة واحدة فقط. اختبار واحد فقط لتثبت خطأ سماح. وبالنسبة لمالك فليس هنالك ضرورة لأن يعرف وحسمت

امرها. قامت باختيار أحد الاختبارات وكان معنون بأي من أحلامك ستتحقق في 2018 " وضغطت عليه وانتظرت حتى ظهرت النتيجة (ستحصل على ترقية قريبا في عملك). ابتسمت حواء وتحولك ابتسامتها لضحك هستيري بعدما تذكرت المصيبة التي ارتكبتها في العمل. كانت تتحدث بصوت مسموع وهي تقول نعم سأحصل على ترقية بعد ذلك الخطأ الفادح الذي ارتكبته. إن سماح حقا لمخبولة وأنا أكثر خبلا أن صدقتها وأنسقت خلفها. ولم تلحظ تواجد سماح خلفها مبتسمة بمرارة وألم.

.....

السبت2018/4/21

الساعة الحادية عشر صباحا

ظلت حواء تفكر كيف ستقوم بخطف الطفل، ولما يريد ذلك النتن خطفه، وهل هي غاصت إلى قاع مستنقع ذلك الرذيل. كانت تهدئ من تساؤلاتها بإخبار قلبها أنها مجبرة ولا خيار لها، لكن دوما كان بقايا ضميرها بالمرصاد، هل حقا هي مسيرة وليست مخيرة. أم إنها ببساطة إختارت الطريق الأقل ضررا على ذاتها. ألم يخبرنا الله أن المضطر لا وزر عليه. لكن هل المضطر يقترف ما إقترفته يدها حقا أم المضطر له قواعد وضوابط.

عاد عقلها ثانيا للسؤال الأهم، كيف ستقوم بخطف الطفل. فذلك السافل دوما ما يرسل لها الصور والبيانات ولكن لم يخبرها طريقة التنفيذ. بل يترك الأمر لمخيلتها وإمكانيتها. ظلت شاردة تحاول إبتكار طريقة للخطف حتى إنها لم تتنبه إلى الحارس الذي طلب ثمن التذكرة.

هي لا تعلم لماذا ذهبت مبكرة إلى حديقة الحيوان بدون أي خطة. كل ما كان يشغلها وهي تدور في دوائر مغلقة حول قفص الضباع كمن كان يحج في فلك الكعبة يطلب من الله العفو ويسلم له حوله وقوته. من هي هل هي حواء حقا ؟ هي لم تعد تتعرف على ذاتها. هل هي من كانت تخاف أن تأذي حيوان يمر بجوارها في الشارع أم عاهرة أصبحت يدا تبطش بمخلوقات الله . هي من تربت على الأخلاق أم لم تعرف التربية يوما لها سبيلا. تذكرت حينها أبيها وحنانه فخانتها دموعها وفرت هاربة على وجنتيها فقامت بمسحها بطرف كمها. ظلت تمشي في حديقة الحيوان دون أن تهتدي السبيل إلى كيفية تنفيذ خطتها، حتى حانت اللحظة الحاسمة الساعة الثالثة عصرا

فتوجهت مسرعة لقفص الأسود متمنية من الله ألا تأتي تلك السيدة وترحمها من عذابها. هناك لحظات بحياتنا عند أعتى درجات صراع الرغبة والواجب نحاول دوما الفرار من الإختيار ومحاولة إلقاء الموضوع برمته على قوى أخرى أو طرف أخر. في تلك اللحظات لا نجد إلا الله نتوجه له بالتضرع والدعاء لعله يرحمنا من ألم التمزع.

عند وصولها إلى قفص الأسود ووجدت إنه لا سبيل أو مناص، ابتسمت بسخرية وقالت محدثة نفسها "وهل سيستجيب الله لك بعد كل ما فعلتيه". وذهبت صوب الأم فاتحة ذراعيها على مصرعيهما وهنا تحدثت مرتجلة "أمال مسعود يا لها من مصادفة" وإحتضنت الضحية كالحية التي تحاوط ضحيتها وتحتضنها معتصرة إياها إلى أن تفارق الحياة وتلتهمها وجبة دسمة تسد بها جوعها.

نظرت إليها الأم وهي يملؤها الإحراج "عفوا وهل تعرفينني".

حواء "بئسا، ألا تتذكريني حقا. أنا أمنية السعيد صديقتك من كلية الإعلام".

أبتسمت الأم متحرجة وأجابتها في توتر"اعذريني فأنت تعلمين الدنيا ومشاغلها ومن كثرة المسئوليات أصاب عقلي شيخوخة مبكرة. فأصبحت أنسى أجمل ذكريات حياتي".

تصنعت حواء الضحك وهي تربت على كتفها " كان الله في العون. ورغم تلك المشاغل فأنت لم تتغيري بتاتا ما زلت جميلة ومشرقة والطهارة تملؤ وجهك الصباح".

إبتسمت الأم بتلك المجاملة والتي هي على يقين بأنها مجاملة من تلك الفتاة "أمنية، أعتقد أنني بدات أتذكرك بالفعل".

لا تعلم حواء هل هي قالت ذلك كنوع من رد المجاملة أم أن العقل لعب بأقذر طريقة ردا على إهانتها له وخلق لها ذكريات زائفة تحاول سد ذلك الفراغ الذي نشأ في فكرها فحاول رد كرامته بتلك الطريقة. لكنها في جميع الأحوال كانت لابد أن تركز فيما تفعله لذلك عادت للحوار "كيف حالك وبأي أرض صرتِ".

برضا تام أجابت الأم "إنني أعمل صحفية بمجلة صغيرة أسمها الخبر ومتزوجة ولدي طفل هو هدية الله لي ومكافأته لما لاقيته في حياتي".

- "بارك الله لكِ فيه وجعله ذريه صالحة، بالتأكيد يشبهك قلبا وقالبا"
- اللهم أمين، لقد أخبرني الطبيب بأنني لن أستطيع الإنجاب ثانية بعد أسر حيث تم إستئصال الرحم إثناء إنجابه بسبب مضاعفات صحية، لكن الحمد لله فهو رحيم دوما بقضائه ولم يرد أن يحرمني نهائيا من شعور الأمومة فوهبني آسر، لحظة سانادي عليه لتريه فهو كالملاك".

ظلت حواء واجمة وكانت على وشك البكاء يا الله ما الذي هي موشكة على إرتكابه. هي فقط لن تخطف طفل بل ستخطف حياة أسرة وثقة ويقين أم ورضا عائلة كاملة بمقدرات الله. وللحظة إستيقظ ضميرها وكانت ستترك المرأة وتذهب إلا إنها تذكرت والدتها وما قد يحدث لها فقررت أن تعطي لضميرها حقنة مخدرة ليسقط صريعا. فهي لا تستطيع تحمل حدوث مكروه لوالدتها.

ظلت واقفة لا تبعد ناظريها عن المرأة والتي حضرت ممسكة بيدها آية في الجمال والبراءة وقالت له "فلتسلم على خالتك أمنية صديقتي".

إبتسمت حواء رغما عنها وهي تحمل الطفل وتحتضنه مداعبة "ما شاء الله " وشرعت بتقبيله وقامت بإعطائه الحلوى التي كانت قد إشترتها مسبقا، فدوما يتم دس السم للأطفال في تلك الحلوى التي تشتهيها قلوبهم البريئة ودوما تزيل عن مقدمها أي شكوك تدور بعقلهم الملائكي. وبالفعل إطمأن لها الطفل وظلت حاملة إياه بحجة مداعبته وسألت الأم "ما الذي أتى بك إلى هنا اليوم، حقا إنه من حسن حظي مقابلتك اليوم".

- من المفترض أن أقابل سمر لقد كانت معنا بالجامعة ألا تتذكريها.
- قالت حواء في توتر " بالطبع أتذكرها" وكانت جل ما تفكر فيه إنه إذا لم تنفذ خطتها الأن فسوف تنكشف خطتها وغرضها. كانت تدعو الله بأن يحدث شيئ يربك الأم قليلا حتى تتلهى عن وليدها. ويبدو أن الله إستجاب لها ففي تلك اللحظة هاج الأسد وهجم على القفص بطريقة جعلت الحارس يصرخ برعب مما جعل الجميع يهرولون متخبطين في كل الإتجاهات. إستغلت حواء ما حدث وأخذت تعدو حتى خرجت من حديقة الحيوان وهي تلهث وكأن أشباح الكون بأكمله تطاردها وأخذت تهدئ من روعها هامسة لوجدانها بأن الله إستجاب لها عندما نويت الشر والأذى ألم يكن أولى أن يستجيب لها لمنع هذا

الأذى منذ البداية، هل حقا تخلى عنها وتركها عندما قنط من توبتها، أم لعظم ذنوبها. إن كان تركها وحيدة شاردة في تلك الحياة فمن سينجيها من براثن الزمن وتقلباته. ظلت هكذا لعدة دقائق ولم تنتبه لتواجد الطفل إلا عندما تسائل ببراءة "إلى أين نحن ذاهبان".

حواء بعينين لا بريق فيهما "لقد أحببتك وسوف أشتري لك لعبة لتلعب بها".

- ولكن بسرعة حتى لا تقلق والدتي
- لا تقلق كل شيئ سينتهي الأن

وهنا إنفتح باب سيارة سوداء وإمتدت يد أخذت الطفل منها وأخذت معه أخر أمل لها في عدالة السماء. وأغلق باب السيارة والرحمة بوجهها وهي لا تعلم ما هو مصير الطفل؟ ولكن كل ما كانت على يقين منه أن تلك الأم لن ترى طفلها مرة أخرى.

.....

الأحد2018/2/25

الساعة : العاشرة صباحا

عند عودة حواء إلى مكتبها وجدت باقة أزهار متواجدة على كرسيها فإلتقطتها وقامت بشمها وحاولت أن تعرف من مرسلها إلا أن بطاقة المعايدة لم يكتب عليها المرسل بل مكتوب " أنا العاشق السيئ الحظ ، لا أستطيع الذهاب إليك ، ولا أستطيع الرجوع إلى ، تمرد قلبي علي" . إبتسمت وتأكدت أن تلك الباقة من مالك لأنه الوحيد الذي يعلم عشقها لمحمود درويش إحتضنت باقة الورد وهمت للإتصال به، لولا أن جائتها مساعدتها تخبرها في رغبة مدير الشركة في مقابلتها. ذهبت حواء لمقابلته وفور وصولها إلى مكتبة قامت بالطرق على بابه وجائتها الإجابة بأن تدلف للغرفة.

- صباح الخير أ/ عوني لعله خير.
- بالفعل خير، تفضلي أريد أن أستشيرك ببعض الأمور.

دخلت حواء ولكن قبل جلوسها أخبرها عوني أن تقوم بإغلاق باب المكتب أولا لذلك قامت بإغلاقه وجلست على الكرسي المقابل إلى مكتبه وحينها تقرب منها عوني وقام بوضع يده على كتفيها وهمس في أذنها "هل أعجبتك باقة الورود".

هبت حواء مفزوعة من كرسيها وهي تحاول الإبتعاد عنه غير مصدقة لما يحدث فهو دوما كان بمثابة الوالد لها، والجميع يشهد على أخلاقه وتدينه. هل حقا أصبحت تخدع في طبيعة البشر بتلك السهولة أم أن العطب أصاب الجميع بلا إستثناء. كانت تحاول أن تلملم شتات نفسها لتبدو قوية وردت عليه "هل أنت من قمت بإرسالها".

حينها أقترب منها عوني وقام بمسك يدها وجذبها نحوه وهو على يقين بأنها ليست من الأشخاص الذين يفتعلون الجلبة وضمها بقوة إلى صدرة وهو يتنفس رائحتها "لم أكن أعلم أن لديك الكثير من المعجبين" وحاول الإمساك بخصلة من شعرها وملامسة وجهها الناعم وحواء تحاول التملص منه ودفعه بعيدا عنها دون أن تحدث جلبه تضر بسمعتها قبل سمعته، ففي ظل هذا المجتمع دوما ما يقع اللوم على الفريسة وليس الصياد، سيلوك شرفها الأفواه معللين فعلت بأنها من شجعته وهي من قامت بإغوائه. لكنه كان أقوى منها على الرغم من كبر سنه.

حاولت أن تستجديه وتحاول إيقاظ ضميرة من لحظة شهوة إنسانية وقع في شباكها "لماذا؟ أرجوك توقف، لقد كنت دوما أعتبرك مثل والدي،أتركني". وكانت على وشك البكاء وهو يحاول أن يتحسس جسدها. في أثناء ذلك سمع صوت طرق على الباب فدفعها بعيدا عنه ونسق هندامه مجيبا "تفضل". وجد سكرتيرته قد أحضرت الأوراق التي طلبها منها في الصباح ، وإستغلت حواء تلك الفرصة وخرجت مسرعة من مكتبه محاولة إلا تظهر شيء مما حدث وهي تسبه وتلعنه في نفسها غير مصدقة لما حدث، وفي قرارة نفسها أمنت بذلك الإختبار وادركت أنه حقيقة ولعنة.

فور مغادرة السكرتيرة بدا على عوني الحزن الشديد وكان يحدث حواء كأنها ما زالت واقفه أمامه قال "فلتسامحيني يا أبنتي".

.....

الأربعاء 2018/1/17

الساعة السابعة مساء

وجدت حواء سماح منكبة على هاتفها وعابسة غير مدركة لما يحدث حولها لذلك قامت بالإقتراب منها بخفة حتى لا تنتبه عليها وقامت بمسكها من الخلف على حين غرة مما جعل سماح تقوم بإلقاء الهاتف والقفز من مكانها وهي تصرخ ، ظلت حواء تضحك وسماح تنظر إليها بغل وتريد أن تفتك بها "لقد أفزعتني يا حواء أنظري إلى الهاتف لقد كسر".

نظرت حواء إلى الهاتف وهي تحاول أن تتوقف عن الضحك "هذا ليس كسر بل شرخ بسيط يكاد لا يرى بالعين المجردة" وعندما كانت تعيد الهاتف إلى سماح إنتبهت أنها تلعب إحدى ألعاب الإختبار فعبس وجهها "أما زلتي تعلبي تلك الخزعبلات".

- سماح بإستهزاء "ألم تتحقق نبوئتها معك إلى الأن".
- حواء وهي تواري ما يعتمر نفسها "محض مصادفة ، لا أكثر".
- سماح بتحد "حسنا سأرسل لكِ هذا الرابط ولنرى إذا كان محض مصادفة أم لا".
- حواء كمحاولة أخيرة للهروب "لا أريد لقد مللت منها".
- سماح "مللتِ أم تخافين".
- حواء "ومما أخاف، فلترسليه".

أرسلت سماح إلى حواء الرابط وهي مبتسمة بتحقيق ما كانت تصبو إليه من البداية فهي تعلم كسف تجبر حواء على فعل كل ما تريده دون أن تنتبه حواء لهذا. فهي تتلاعب بها تماما. قامت حواء بفتح الرابط أمامها وكان الإختبار (ما الحادثة التي على وشك أن تصيبك) نظرت حواء إلى سماح وكانت مترددة من أن تضغط على زر الإختبار فهي لا تريد أن تعرف نهائيا. لولا نظرة سماح لها بتشف واضح لذلك ظغطت على الزر وإنتظرت النتيجة (سوف تكسر يدك) كانت تلك الكلمات الظاهرة على شاشة الهاتف ولا تعلم حواء لماذا أصابها ذلك الضيق المفاجئ وشردت تفكر كيف سيتم كسر يدها كأن ما ظهر أمامها أصبح حقيقة مؤكدة لا مفر منها. فهي وعلى الرغم من علمها أنها محض لعبة إلا أن جزء بداخلها بدء في تصديق أنها حقيقة.

أخرجها من شرودها إتصال مالك بها فردت مسرعة " السلام عليكم، كيف حالك".

- لاحظ مالك الضيق بصوتها فتسأل "أأنت بخير؟".
- نعم .

- لا لست بخير، هناك شيئ يزعجك.

لم تكن حواء لتخبر مالك بما حدث حتى لا يغضب منها، فيكفى أن أخر مرة خسر عمله بسببها وهي تعلم أنه يعرفها من نبرة صوتها فعللت له ضيقها "لقد حدثت مشادة بيني وبين سماح".

- بين وبين سماح لماذا؟
- أخبرها والدها دوما أن الكذب سيجلب الكذب وستقع في دوامة بسبب كذبة بسيطة وما حدث كان تصديق على نصائحه. فهي تريد الآن الإستمرار في الكذب وكانت تحمد الله أن مالك يحدثها هاتفيا ولا يرى وجهها وإلا لعلم إنها تكذب من أول حرف خرج منها "لم تكن تريدني أن أذهب للبلد بعد غد، ولكنني وعدت أهلي مسبقا وهي غاضبة علي بسبب ذلك فهي تريد أن نمرح قليلا معا بيوم أجازتها".
- صمت مالك لدقيقة ثم رد عليها "حسنا لا تخبريني ما الذي يزعجك، ولكن فضلا لا تكذبي علي ثانيا. إتفقنا".
- صمتت حواء مطلقا وهي لا تعرف بماذا تجيب فهي تعلم أن مالك يستطيع معرفة كل ما يدور بخلدها قبل أن تتفوه به، وجل ما أستطاعت الرد به هو "حسنا".
- حاول مالك تغيير دفة الحديث ليزيل عنها الحرج " أوتعلمين لقد إشتقت إليك وإشتقت للعمل معك".
- إبتسمت حواء بمرارة "وأنا أيضا يامالك. وأعتذر عما تسببت لك به".
- قاطعها مالك "قبل أن تكملي ذلك الحديث الذي لا معنى له ولا طائل، أرد أن أخبرك إنه تم توظيفي بشركة " أفيكو " وأردت أن أحتفل معكِ".
- تهللت أسارير حواء وظهر ذلك جليا بصوتها "حقا، مبارك لك. تلك الشركة معروفة ومعروف أهميتها بل هي أعظم من الشركة التي أعمل بها. تستحقها وتستحق أفضل من ذلك".
- حسنا حبيبتي فلترتدِ ملابسك وسأمرعليك لنحتفل سويا.
- حسنا في ظرف ثلاثين دقيقة سأكون جاهزة
- أنتظر ملاقاتك على أحر من الجمر ، إلى اللقاء

أغلقت حواء الهاتف ، ولقد أنستها فرحتها ما ذكر في الإختبار.

.....

الأحد2018/1/7

الساعة الثامنة صباحا

إستيقظ مالك من نومه على رنين هاتفه بنغمة وصول بريد إلكتروني له، لذلك قام بتصفحه وإذ به رابط إختبار تم إرساله له، إعتدل في مجلسة بحنق يحاول تذكر بدء سقوطه في تلك الهاوية وقام بالضغط على الرابط ووجد أن الإختبار هو (ما الصدمة التي ستحدث لك في 2018) قام بالضغط عليه وإنتظر النتيجة والتي صدمته كليا (سيغدر بك) أغلق مالك الهاتف ولأول مرة لا يفهم معنى الإختبار فهو لم يكن مهمة ينفذها بل كان على يقين بأن ذلك هو العقاب الذي تحدث عنه ذلك المنتفخ سحره. حيث لم يرسل له أي رابط منذ حديثهم أخر مرة، قام مالك وإغتسل وإرتدى ملابسة ويعلو شفتيه إبتسامة سخرية فأي كان ما سيحدث أهون عليه مما قد حدث له فلم تكن الدنيا له يوما أما بل كانت زوجة أب شرسة لا يهمها إلا الفتك به وغادر شقته متوجها إلى عمله.

عند وصوله للعمل وجد أن الجميع ينظرون إليه ويتهامسون ولم يطل تعجبه طويلا حيث قام أحد زملائه بإخباره بأنه تم فصله من العمل. وقف مالك مذهولا غير مدرك لما يجب فعله لولا أن قاطع أفكاره حديث زميله بأن ذلك هو قرار مجلس الإدارة. وأن المجلس كان يريد أن يرفع عليه دعوى تعويض حيث أن تلك العقود كلفت الشركة ملايين الجنيهات. ولولا أنه قام بالإنتهاء من بعض العقود التي حدت من الخسائر لكانت أفلست الشركة. وكذلك شهادة مدير الشركة له بالكفاءة. هذا ما ردعهم عن إتخاذ الإجراءات القانونية ضده وإكتفوا بفصله من العمل.

أدرك مالك معنى ما كان مكتوب بالإختبار لقد تم الغدر به بالفعل، فلقد أدر على الشركة مليارات الجنيهات من عمله فقط. ولمجرد ذلك الخطأ يقومون بفصله، هل يتحكم ذلك الرذيل بالجميع ليعرف بقرار فصله، أم إنه هو من أصدر ذلك القرار. أين التوازن خطأ واحد أنساهم أفضاله أم أن تلك طبيعة البشر تضخم الخطأ وتفتك بمرتكبه متناسية كل حسناته بل حاذفة كل الفضل من ذاكرتهم.

أخرجه من شروده رؤية حواء متجهة إلى مكتب مدير الشركة وكأنه علم ما تنتوِ فعله فهرول إليها مسرعا وأمسكها من يدها وسحبها إلى مكتبه وأغلق الباب بغضب "ما الذي كنت تنوين فعله"

نظرت إليه حواء والدموع في عينيها وقامت بإحتضانه وأخذت في البكاء وجسدها ينتفض من إنفعالتها. رق مالك لحالها وربت على شعرها فمنذ رؤيتها أخذ عهد على نفسه ألا يكون السبب في حزنها يوما. فأخبرها إنه ليس ذنبها وإنه في جميع الأحوال كان ينتوي أن يترك العمل.

شبت دوما على مناصرة المظلوم والوقوف بوجه الظلم. فكيف تصمت على الظلم وقد وجه لكبد أحب الناس إلى قلبها بل والأدهى إنها كانت السبب في وقوع هذا الظلم لذلك كانت تغمغم وهي دافنة رأسها في صدر مالك "هذا ظلم وأنا لا أسكت على الظلم مطلقا، سوف أخبر السيد عوني بكل شيء وأتحمل أنا المسئولية كاملة، أنت لم ترتكب أي خطأ حتى يحدث لك هذا، وفوق كل هذا يتم ترقيتي لشغل منصبك، هل يتم مكافئة المخطيء على خطأه".

أبعدها مالك عنه برفق ونظر إليها "إياك أن تفعلي ذلك يجب أن تعديني، لقد صدر قرار مجلس الإدارة وإنتهى الأمر ولتعلمي يا حبيبتي أن ما كان يبقيني بتلك الشركة هو تواجدي بقربك ورغبتي في حمايتك والإعتناء بك فقط لا أكثر، ولقد أسعدتني بخبر ترقيتك مبارك، ويجب أن نحتفل".

نظرت إليه حواء غير مصدقة وردت عليه بغضب "نحتفل بماذا. أتمزح معي؟ لقد أخبرتك أنني سأذهب لأطلعهم على الحقيقة كاملة ولن أقبل أن أحتل مكانك بتاتا، ولنطرد نحن الإثنان أهون من أجلس على هذا الكرسي ولو لدقيقة". .

أمسكها من يدها ونظر إليها نظرة هي تعلمها جيدا بمعنى أن قراره قد صدر وما عليها إلا التنفيذ "لا لن تخبريه بشيءوإنتهى الأمر وستعديني بذلك حالا".

- صمتت حواء وأطرقت رأسها وردت "أعدك".
- ضحك مالك محاولة منه لتخفيف الأمر عليها" فتاة مطيعة سأمر عليك بعد الدوام لنحتفل، مبارك لكِ حوائي، أعتقد أن هذا الأن أصبح مكتبك وأنا من يجب أن يغادر"

تركها مالك وغادر وبعد خروجه من الشركة جلس على رصيف الشاعر وبيده التوصية التي أعطاها له عوني وأزال تلك الإبتسامة وهو لا يدري ماذا سوف يفعل.

.....

السبت:2018/2/10

الساعة: الحادية عشر مساءا

ظلت حواء مترددة و خائفة تنظر إلى شاشة هاتفها وتغلقه ثم تمضي دقيقة وتقوم بفتحه وهي تردد في نفسها أن تلك الإختبارات جلبت لها الخراب ودمرت حياتها ، ولكن الفضول كان يأكلها من الداخل تريد أن تجرب أن تعلم ماذا سيحدث بالمستقبل، لذلك قررت أخيرا أن تقوم بفتح ذلك الرابط وعندما ضغطت عليه (ماذا سيحدث في المساء) كان هذا اسم الاختبار وما هي ثواني إلا وأتت النتيجة (ستختنق) . قامت حواء بإغلاق الهاتف سريعا وهي تردد اللهم إحفظني من كل سوء وإحمني وكأن هناك يد قبضت على قلبها وإعتصرته.

كانت حواء وحيدة بالمنزل لذلك قامت بإنارة الشقة بأكملها من خوفها وخرجت للشرفة لتستنشق بعض الهواء ولكنها شعرت بحركة غريبة بالمنزل، وقفت مترددة لثواني تتسائل أين سماح الآن لتسنسقي منها الشجاعة. في النهاية أخذت تتحرك بحذر في إتجاه الصوت، وما إن قامت بفتح باب غرفتها حتى لفحتها سخونة النار المشتعلة في أرجاء الشقة. ظلت حواء تصرخ النجدة النجدة، وسرعان ما غابت عن وعيها بسبب نقص الأكسجين وهول الصدمة وحرارة الجو.

بعد عدة ساعات إستيقظت حواء وظلت تردد بصوت وهن "النار،النار". ولكن سرعان ما وجدت نفسها في فراش ما أمامها سماح ومالك وبعض جيرانها. وعندما حاولت الإعتدال أوقفتها سماح وأمرتها بأن تستريح وأعطتها كوب من الماء "حمدا لله على سلامتك".

التفقت حواء حولها فلم تتعرف على ملامح المكان المستلقية فيه " كيف أتيت إلى هنا".

أجابتها سماح "لقد سمع الجيران صراخك وقاموا بكسر باب المنزل وأخرجوكِ منه ولكن لم تكونِ بوعيك حينها، وطمأننا الطبيب بأنك بخير وفقدت الوعي لإختناقك من الدخان المتصاعد من الحريق فقط".

- وما سبب الحريق .
- يبدو بأنك قد نسيتي الموقد مشتعل وهذا سبب الحريق
- أنا لم أشعل الموقد نهائيا اليوم
- عزيزتي إنك متعبه يجب أن ترتاحي
- ولكن حقا أنا لم أشعل الموقد نهائيا

هنا تدخل مالك وقال "سنناقش هذا الأمر لاحقا. ولكن الأن يجب أن تستريحي وسنتركك الأن". ظلت حواء تفكر ما كل هذه المصائب، حتى إنها لم تشفى من كسر يدها ليحدث ذلك، وفي منتصف تفكيرها غفت من الإجهاد ولم تلاحظ نظرات مالك إلى سماح.

.....

الجمعة2018/7/27

الساعة الحادية عشر صباحا

رغم أنه هيئته توحي بالصلابة فكان بداخله طفل يجلس في أحد زوايا حجرة مظلمة متكوما على ذاته مجهشا ببكاء إستنجاد لعل يسمعه أحد. كان يعتري مالك الشقاء ويمتلئ فؤاده ببؤس قد مرر أيامه لعدم علمه كيفية التصرف فهو كالمكبل بحديد صلد وتم إلقاؤه بمنتصف المحيط ليصارع أمواجه.

منذ أن قصت حواء عليه وضعها المعقد وسباقها مع الفئران كمحاولة لإنقاذ ذويها ونفسها وهو يحاول أن يجد المخرج لكليهما. لكن هل هناك مخرج من إختبار الحياة الذي رسبا فيه وبكل جدارة. طوال عمره يحاول معرفة ما هو الخير والشر وهل هما واضحان بحيث يمكن معرفتهما بالإبصار. هل تصرفات البشر أبيض وأسود فقط أم إنها مثل ألوان قوس قزح يتدحرج فيها الإنسان فتارة يكون نبي وتارة يكون مدعي نبوة وتارة شيطان يجاهر بأبلسته. لكنه أصبح على يقين بأن أي قرار يمارسه الإنسان له وجهان ويمتزج فيه الخير والشر ويذوبان ببعضهما البعض.

يا للهول كيف سيخرجان من هذا الجحيم،عقله يكاد ينفجر من شدة التفكير لقد وثقت به حواء وقصت له ما حدث وما اقترفته يداها من جرائم بسبب ذلك الذي يدعي إنه إله، لهذه الدرجة تحبه وتعلم إنه الأمان بالنسبة لها. لهذه الدرجة تثق فيه. لهذه الدرجة وصل حقارته فهي لا تعلم تلك

المغفلة إنه السبب في كل ما حدث لها، لا تعلم إنه متورط مثلها بل و أكثر وبأبشع الطرق التي قد لا تتخيلها أو يردكها عقلها الطاهر.

دون أن يدري كانت الدموع تنساب على خديه ثم جلس على الأرض وإنهار وأخذ يبكي بكاء هستيري، تذكر كل حياته هل كانت حياة أم عقاب. لم تواجد بالدنيا فقط ليظل بكبد ويتم تجربة كل طرق التعذيب والقهر في روحه الهشة. هل من المفروض أن يصبر وأن يسير في الطريق الأخضر رغم أن الطريق المرسوم بداخله متكسر وكله تعريجات وحفر. هل يجب أن يصلي ويصوم ويكون نقيا طاهر اليد واللسان وهناك من هو مسلط عليه قام بتلجيمه وسحبه بالقوة لطريق السعير وكل ما يحاول فعله طوال يومه وما يشغل باله هو كيفية فك ذاك اللجام. كيف سيقف بين يدي الله وهو على يقين بأنه تركه وتخلى عنه منذ مولده ليصارع بمفرده. كيف سيسجد أمامه وهو غير مستحضر وجوده روحيا. هل العبادة حركات فقط أم إستعداد جسدي ونفسي وخشوع جنانه. في النهاية تحدث بصوت عالي لعله يسمع لبه ليستفيق من غفلته "متى ستستريح يا مالك. منذ الصغر وأنت بائس. ماضيك تحكم بمستقبلك وإستغله ذلك الفاسق ضدك وجعله كالطوق الناري الذي يلهب به عنقك كلما حاولت الفرار. اللعنة عليه وعلى تلك الدنيا".

قاطع تفكيره صوت رنين الهاتف بوصول رسالة لذلك قام بفتحها ووجدها رابط الإختبار، صرخ مالك "فلتذهب للجحيم أنت وإختباراتك أيها المنحط". ظل على وضعه ذلك ساعة من الزمن لم يحرك ساكنا كأنه تم تجميده ولولا رنين الهاتف المتواصل لبقى كذلك أبد الدهر، نظر لهاتفه وتحدث "ماذا تريد، أما يكفيك ما حدث؟".

- لماذا لم تقم بالإختبار ؟
- مالك بغضب "لن ولم أقوم به ؟ لقد مللت منك حقا؟ ولتفعل ما تريد".
- ضحك محدثه بسخرية "هل تتحداني ثانيا. يالك من غر ساذج وحلمي عليك جعلك تعتقد إنك بمنأى عن تدميري لك. لم أكشف سرك المرة السابقة، فلتسأل نفسك ماذا ستفعل حواء إذا علمت بماضيك، هل ستظل متمسكة بك أم ستشمئز منك كما كان الأخرون يفعلون سابقا. وتلفظك من جنتها وتطرد من رحمتها".
- صرخ مالك في محدثه "فلتواجهني بأقصى ما يمكنك فعله لقد مللت ولن أبالي. ليس هناك خلاص من إختبارك. ليس هناك بارقة أمل. ليس هناك معرفة إن كنت قد تجاوزت

الإختبار أم فشلت فيه. مجرد تكهنات وصبو نفسي إلى أن النهاية قادمة. لا يمكن لأحد البقاء في العبودية دون أن تهل عليه رائحة الحرية لتصبره على تلك القيود المكبلة قدمه فلا يستطيع الفكاك".

- صمت الصوت لبرهه كأنه يوازن حديث مالك ويديره بعقله. فلقد علم بأنه لا يمكنه السيطرة على مالك أكثر من ذلك. لا يستطيع أن يظل الكلب الوفي له. بل أصبح ضبع متربصا به ويريد الفتك به. وإنه كشمشون سيهد المعبد على الجميع. لذلك قرر تدميره بطريقته سيضعه بإختبار يعلم مسبقا نتيجته. فلا أحد ينجو من قبضته. الجميع يستحق العقاب، لم يقاومه أحد بل فضل الجميع مصلحتهم وليهلك الكون بأكمله وينجو بنفسه. الجميع يستحق عقابه. الجميع يستحق أن يذوب في خندق مستعر"حسنا، سأعطيك حريتك، سيكون ذلك أخر إختبار لك أعدك بذلك، وأنت تعلم إنني أفي بوعودي".
- صمت مالك معتقدا إنه قد إنتصر مغيبا عن عقله إستحالة إنتصار نملة على فيل قد يسحقها أسفل قدمه دون أن يدري حتى بوجودها. لذلك قرر الإستمرار في مساومته " ويكون أخر إختبار لحواء أيضا، لقد قصت عليّ جل ما حدث، ولن أنجو بنفسي وأتركها. أرجوك".
- ذلك ما كنت أنتويه، لا تقلق. فبعد موت أخيها وهي لم تعد متزنة حقا.
- تنفس الصعداء وهو يرى أخيرا الضوء في نهاية نفق الهلاك "حسنا سأجري الإختبار" .
- كان محدثه يريد أن يستمتع بتلك اللحظة. فهو دوما يتلذذ بلحظات إنهيار الأخرين. كان يسخر من هذا الأحمق وسعادته التي كان يتردد صداها بين أحرف جملته الأخيرة "سأنتظر على الهاتف لحين الإنتهاء من إختبارك. لقد أرسلت لك رابط جديد".
- قام مالك بفتح الرابط بلهفة ودخل الإختبار والذي كان عنوانه أي جريمة سترتكب في 2018 ضغط على زر الرابط وكانت النتيجة "ستنتهك شرف فتاة". نظر مالك إلى الشاشة مذهولا مما كتب عليها وتحدث بصوت مبحوح "ألم تقل مسبقا أن الإختبارات لا تعاد".
- نعم نعم. أمتعني اكثر بصوتك المنكسر. بتلك الفرحة التي لم تكتمل. بإنهزامك ومعرفة حجمك الحقيقي. جيد إنك تتذكر إنك فعلتها مسبقا، لذلك الأمر سيكون يسير هذه المرة

أليس كذلك فلقد أصبحت مخضرم في سلب الفتيات أعز ما يملكونه وفقا لعرف المجتمع، ولقد أعد الإختبار لك فقط لمعزتك في قلبي وإعتبره هدية وداع.

- كان مالك يريد سبه، وكل ما تملكه في تلك اللحظة هو رغبته في القيء إشمئزازا ولكن في النهاية إستطاع السيطرة على نفسه " وكيف سأعتبر تلك القذارة هدية".
- بتساؤلك هذا أنت تعزف موسيقى تطرب كل خلجة من خلجاتي. لإنه وببساطة ستغتصب حواء ولكن هذه المرة أريد مشهد الإغتصاب مصورا أريد الإستمتاع به وليس كالمرة الماضية. ولابد أن يكون الأمر دون رضاها اريد أن أسمع صراخها يدوي في الأرجاء. أريد مشاهدة الرعب في مقلتيها. أريد رؤية دموع الرجاء تنساب من عينيها. أريد مشاهدة الصدمة وخيبة رجائها فيك. أريد التنعم في مقاومتها لك. أريد رؤية معاناتك يا مالك.
- صرخ مالك وقد أدرك أن ذلك الضوء ليس إلا لهيب شمس حارقة تشوي الوجوه لا تدفء جلودهم "أيها الحقير السافل الداعر القذر، كيف تتوقع مني أن أفعل ذلك وما ذنب حواء أيها القذر لقد فعلت كل ما أمرتها بفعله".
- قاطعه محدثه قبل أن يكمل كلامه " وما ذنب الفتاة الأخرى، هل تتذكرها، هل تتذكر ما فعلت صراخها، شرفها، سمعتها،دمائها.هل ضميرك إستيقظ الأن لأنخا حواء. هل الذنب والتوبة عنه مرتبطة بشخص من أمامك أم بنية صادقة للتكفير عن ذنوبك. إعتبر ذلك تكفير عن ذنوبكما وتخليص حق الأخرين منكما. أليس هذا هو العدل".
- صمت مالك لفترة وكانت عيناه معلقة بشرفة منزله ولقد قرر رسم باب الخروج بطريقته، فأحيانا الإنسحاب هو قمة الإنتصار. ما الذي رأه بحياته ليتمسك بها. لقد تخلى عنه الجميع وهو ما زال متمسك بها، إرتكب أبشع الكبائر وتدنست يده بأهات الكثيرين بسبب تمسكه بها. فليجرب إذا أن يتخلى عنها. أن يزيل تلك الصخرة القابعة على صدره ففي جميع الأحوال روحه مصيرها الجحيم. فهنيئا له بالجحيمين. وأهلا بالموت الذي يرفض أن يأتي إليه لذلك سيذهب هو للموت. أخذ نفس عميق وتحدث بصوت يغلفه الهدوء " قبل أن أفعل أي شيء عدني أن هذا الإختبار مقتصر علي فقط ولن يفعله غيري، رغم إنك وضيع إلا أنني على ثقة بأنك لا تخلف وعودك أبدا".
- أعدك

- إبتسم مالك إبتسامة واثق أن من أمامه كان على علم مسبق بأن هذا الطريق الوحيد الذي سيسلكه مالك وقال "أمر أخير، هل تخبرني ما الفائدة من كل الإختبارات التي قمت بها أرجوك. أريد أن أعرف هل كانت إجاباتي تستحق. هل كان الإختبار حقيقيا أم مجرد عبث وضع فقط لإمتاعك. أن تجعلنا عرائس ماريونيت لا نتحرر إلا بموتنا".
- حسنا، من أين أبدأ هل تعرف الدارك ويب تلك الشبكة العنكبوتية التي يتم فيها كل ما هو محرم وغير قانوني. أنا أسيطر عليها ذلك هو عالمي. تلك هي أرضى. كل الإختبارات ماهي إلا صفقات في الدارك ويب لأناس يعلمون أن كشف حقيقتهم وكشف طلباتهم ورغباتهم قد تؤدي بهم إلى قصف رقبتهم لذلك سلكوا طريق الظلام طريقي. فلنرى الحقيبة التي قمت بتسليمها لذلك الأجنبي كان بها أعضاء أحد الأطفال لزرعها لأحد رجال الأعمال المشهورين والذي لن أطلعك على أسمه بالطبع. فأنسجة الأطفال يستطيع أن يتقبلها أي جسد. ليس مثل أجساد البالغين فلابد من تحاليل وتجارب وفي النهاية قد يرفضها جهازك المناعي ويدمرها ويدمرك. لكن أنسجة الأطفال على العكس. وتكمن الصعوبة في الحصول على الطفل في الواقع دون لفت الإنتباه والتساؤلات، أضف إلى ذلك أين المتعة في سلك طريق النقود إدفع لتحصل.

والقهوة التي سكبتها على العقود بالإضافة إلى جعل حواء تصدق ذلك الإختبار وتخضع لي، فبعض تلك العقود كانت لمناقصة مع شركة لا يستهان بها ولا تمزح بعملها، ولكن على الرغم من كل محاولتها المستميتة كسبت شركتكم المناقصة تحت شرط في حالة عدم جديتكم كانت المناقصة ستذهب مباشرة للشركة التي تليكم، لذلك تم الدفع لإفساد عملكم.وعندما حضر المسئولين ووجدوا أن العقود غير جاهزة إعتبروا ذلك إستهتار من قبل شركتك السابقة فلم يتمموا العقد وقامت شركتك بدفع الشرط الجزائي وذهبت الصفقة للشركة الثانية. الحياة ليست دوما عادلة وليس معنى إنك شريف ونزيه أن تهدهدك الحياة وتلبي لك رغباتك، فعالم المال مثل عالم السياسة لا يحكمه إلا المكائد.

وبالنسبة للفتاة التي قمت بإغتصابها فكانت إبنه قاض يرفض أن يحكم على أحد الأشخاص الذين يخضعون للإختبار بستة أشهر حبس على جريمة إرتكبها. كما تعلم أنا أحمي من هم تحت إمرتي أيا كان جرمهم، فتحت سمائي توجد الحماية والأمان، وبعيدا عن سمائي يكمن الشقاء لذلك أمرتك بخطف إبنته وإغتصابها وهددته بأن ذلك سيحدث

لكل عائلته إن لم يفعل ما أمره به وبالفعل تنازل عن قسمه وضحى بكل شيء في مقابل مصلحته. حامي العدل كسر الميزان لينقذ ذوويه، فأي فلاح بعد ذلك. وأي نجاة يبتغيها السائلين إن فسد المسئول.

وبالنسبة للشركة التي قمت بتعيينك فيها وسرقة أحد الملفات ونسخه وإحضاره إلى فهذا الملف كان يتعلق بصفقة أسلحة كبيرة تم توزيعها في منطقة الشرق الأوسط لحفظ السلام بينهم، وهل يوجد أفضل من الشرق الأوسط ليكون سوقا للأسلحة. إنهم الإخوة الأعداء فلنستفيد من غبائهم وقبليتهم قليلا أليس كذلك. وكنت أريد أن أكون شريكا بها. هل أكمل أم أكتفيت ورضيت فضولك. وفي النهاية فلتعلم أن جميع تلك الأشياء مقابل المال، أشخاص يدفعون وأنا أخطط وأنتم تنفذون. هل هناك أذكى من ذلك وأبسط؟".

- إبتسم مالك وتوجه ناحية الشرفة " لا تنسى وعدك بأن ذلك الإختبار مقتصر علي فقط" ثم قفز من الشرفة.

.....

الجمعة2018/1/19

الساعة الواحدة ظهرا

ترجلت حواء من القطار وهي تحمل حقيبتها سعيدة بذهابها للمنزل من مدة طويلة مشتاقة للقاء أبويها والاستجمام وسط الخضرة التي تحبها. رفضت أن تستقل سيارة أجرة بل آثرت المشي وذلك لإستنشاق الهواء العليل التي حرمت منه في القاهرة. بعد مرور خمس عشرة دقيقة كانت قد وصلت إلى مشارف بلدتها، أه إنها بلدتها التي تحبها، التي تشعر بالأمان فور الدوس على أرضها، تمشت بين الأراضي لتتمتع بمنظر الخضرة شاردة في ذلك السلام النفسي الذي غلفها ،إلا إنها إستفاقت من شرودها على صرخة بعض المزارعين "إنتبهي".

إلتفت خلفها فور سماعها صهيل حصان وهي مفزوعة. إلا إن إلتفاتتها قد جاءت بعد فوات الأوان حيث أن قدم الحصان الأمامية هوت بكل قوتها على يدها اليسرى وسقطت على الأرض وهي تصرخ من شدة الألم. إلتف الناس حولها وترجل راكب الحصان بعد أن قام بالسيطرة عليه وهو مفزوع أن يكون قد حدث لها شيئ "هل أنت بخير".

كانت حواء تلتوى على الأرض من شدة الألم لذلك قام الرجل بحملها والذهاب بها مسرعا إلى أقرب طبيب للإطمئنان عليها ، وأخذ يعتذر لها عما حدث وأن تلك المرة الأولى التي يحدث ذلك فالحصان مدرب جيدا، ولم تكن حواء تستمع له بل كانت تريد أن تصرخ به ليصمت قليلا فيكفيها ألم يديها. فور وصولهم للطبيب قام الطبيب بالكشف عليها وتبين أنه كسر باليد والذي قام بتجبيرها وإعطائها مسكن وأمرها بالذهاب للمنزل والإستراحة ولتحمد الله أن الأمر ليس خطيرا فحادثة كتلك كانت كفيلة بتشيم كامل عظامها.

أصر الشاب على إيصالها للمنزل وفور رؤيتة والديها فزعوا وهرولوا إليها" ما الذي حدث،ما بك". حواء لم تستطيع الحديث لذلك تحدث الشاب " إنه خطئي، أعتذر لقد كنت أمتطي الحصان ولكنني فقدت السيطرة عليه وإتجه نحو نجلتك وأصابها بيدها. أعتذر حقا لا أعلم ما الذي أصابه فهو حقا مدرب جيدا ويستمع لكل ما امره به".

نظر الوالد لنجلته غير مصدق ماحدث ثم وجه حديثه للشاب ليزيل عنه الحرج فهو يعرفه ويعلم تربيته الحسنة "لعله خير يا ولدي. ولكن كيف حدث ذلك وأنا أعلم إنك قمت بتدريبه جيدا ولا يفعل شيئ إلا بأمرك كما قلت سابقا".

نظر الشاب بالأرض محرجا وقال "لا أعلم حقا كيف حدث ذلك. إنني أعتذر حقا عما حدث، وعلى أتم إستعداد لما تحكم به يا عمي".

"لا يهمك يا ولدي". نطقها الأب وهو يحتضن نجلته لإدخالها المنزل واستأذن الشاب للرحيل وهو حزين. جلست حواء بفراشها وكان والدتها تبكي وتحتضنها ووالدها يجلس على طرف السرير للإطمئنان عليها حينها قالت حواء "إنني بخير حقا. أحتاج فقط أن أنام وفور إستيقاظي سأكون بخير لا تقلقوا".

نظرت إليها والدتها وهي تبكي "هل أنت بخير حقا ؟ هل ذراعك يؤلمك ؟ هل نحضر لك طبيب أخر؟ هل أحضر لك الطعام لتأكلي أولا قبل نومك". قاطعت حواء والدتها وهي تبتسم على والدتها والتي تؤمن ككل السيدات المصريات أن علاج أي مرض يكمن في الأكل "تمهلي أمي أنني بخير حقا، سأنام فقط لمدة ساعة لأستريح من السفر ثم سأحضر لأكل معكم فور

إستيقاظي". قبلتها والدتها ودثرتها بالغطاء وهي تتمنى لها الخير يغلف حياتها. أبتسمت حواء وتظاهرت بالنوم إلى أن خرجوا من الحجرة ثم فتحت عينها وظلت شاردة .

.....

الخميس2018/6/7

الساعة السابعة صباحا

كانت حواء قد إنتهت لتوها من إجراء الإختبار وهي تتأفف لإستيقاظها مبكرا، وتتعجب من إعطائها التعليمات تلك المرة فدوما كان يعطيها الأمر وهي لها مطلق الحرية في كيفية التنفيذ لكن تلك المرة إختلفت تماما. إختلفت من ناحية الأوامر ومن ناحية مشاعرها فلقد أصبحت كالإنسان الألي ينفذ ما يؤمر منها دون روح أو أدنى شعور بالذنب. كل ما تريده هو الخلاص من إلحاحه المستمر فهو كالذبابة لا يتوقف عن الزن إلا بتنفيذ ما يريد. لذلك إرتدت ذلك الفستان والذي صمم بطريقة لتبدو بدينة وارتدت النقاب المرسل مع الفستان وحملت الحقيبة المتواجدة أمام منزلها وتوجهت للسفارة السعودية كما هو مكتوب أمامها، وطوال الطريق وهي تتعجب كيف يرسلها إلى مقر السفارة في ظل الأوضاع الراهنة وتلك الأزمة التي عكرت صفو العلاقات المصرية السعودية. وحالة التأهب والإستعداد. ما المتواجد في تلك الحقيبة وكيف ستمر بها في ظل الأمن المكثف. لم تشغل بالها هو أخبرها إنه سيعيطها التعليمات تلك المرة وما عليها إلا التنفيذ.

- قبل أن تترجل من سيارتها وجدت رقمه على الهاتف لذلك قامت بالرد "حسنا لقد وصلت"
- الفستان الذي ترتديه به تجويف من الداخل، حتى يجعلك تبدين بدينة تماما، قومي بفتح سحاب التجويف وضعي به الحقيبة التي تحميلينها".
- حواء " لم ألحظ أن به سحاب، ولكن ما الذي بداخل الحقيبة".
- ليس من شأنك . نفذي ما أمرك به
- حسنا. أنا أتسائل فقط خوفا من أن يكون بها ما يجعل الجهاز الأمني للكشف عن المعادن يصدر صفيره المزعج فيتم تفتيشي ذاتيا".
- لا تقلقي فمحتويات الحقيبة ليست معدنية

- ولكن كيف ترسلني في ظل الأوضاع الراهنة؟.
- أصمتي وكفاك ثرثرة ، وإستمعي إلى،عند دخولك ستذهبين للحمام وستخرجين الحقيبة وستضعيها هناك،ثم ستصعدين للإستفسار عن الأوراق المطلوبة للحصول على تأشيرة سفر للسعودية ثم ترحلين،وفور خروجك سأتصل بك".

"حسنا". كانت حواء تقف أمام السفارة في تمام الساعة العاشرة، نفذت حواء ما طلب منها وكانت تتصبب عرقا ولولا إرتدائها النقاب لكشف أمرها منذ البداية، وبعد أن وضعت الحقيبة في مكانها صعدت للإستفسار عن التأشيرة ولكنهم أخبروها أن جميع التأشيرات متوقفة لحين إنتهاء الأزمة الراهنة. شكرتهم حواء وتركتهم ورحلت من السفارة. وفور خروجها وجدت أن هاتفها يرن كأنه يعلم تحركاتها لذلك قامت بالرد.

- حسنا ، الأن أصعدي إلى سيارتك وغادري المكان فورا ، وفور وصولك للمنزل أخلعي ملابسك وقومي بحرقها جيدا.
- حواء وهي تدير سيارتها بسرعة وتشعر بالرعب. فبداخلنا دوما ذلك الشعور الذي يخبرنا بوجود خطب ما غير صحيح .فتسائلت " لماذا ما الذي سوف يحدث".
- ألم ترغبي في الإنتقام لما حدث لسماح، ألم تقولي ذلك لمالك إنك ترغبين في الإنتقام، ها قد نفذتِ إنتقامك ورغبتك".
- حواء غير مستوعبة كيف علم بذلك وتريد أن تفهم ما يحدث لتدرك حجم المصيبة التي أوقعت نفسها بها وبمحض إرادتها "ماذا ؟ وما دخل ما حدث لسماح بالحقيبة".
- ألم أقل لك أن كل شيئ بالكون منذ نشأته وحتى فنائه مرتبط وليس هناك شيئ يدعى صدفة بتاتا. ما الذي حدث وما الذي يحدث وماذا سيحدث لا شأن لك بمعرفته فأنت مجرد ترس صغير في ألة عملاقة تعمل لتصب في صالحي. هل رأيت من قبل ترس يفكر ويناقش ويستفسر وأغلق الهاتف دون إنتظار ردها كأنه سأم من فضول المرأة التي يلازمها.

وصلت حواء للمنزل وفور دخولها قامت بإحراق الملابس كما أمرها بيد مرتجفة وجسد على وشك الإنهيار من الرعب،ولكنها سمعت طرق على الباب فتسائلت من الطارق ليأتيها الرد بإنها جارتهم

قامت حواء بفتح الباب ووجدت جارتهم أمامها "هل أنت بخير يا إبنتي، لقد وجدت دخان يخرج من شرفة الحمام لذلك فزعت أن يكون قد أصابك مكروه مثلما حدث من قبل".

إرتبكت حواء وهي تخبرها إنها كانت تحضر بعض الطعام ، ولكنه إحترق لذلك أخذت الأواني ووضعتها في ماء حتى تنطفئ النار، فلا تقلق . لم تقتنع السيدة بما قالته ولكنها صمتت وتمنت لها السلامة ورحلت. وأغلقت حواء باب المنزل ثم جلست خلفة تلهث وتبكي من شدة الخوف من يسمع بكائها ويرى أرتجافة جسدها يدرك إنها أصبحت كفأر تجارب وضع بين جسد إنسان وبين قدر موقد أسفله وكل ما هو مطلوب من ذلك الفأر هو قضم الجسد لإحداث ثقب به يستطيع منه الفرار من سعار اللظى. ظلت تردد بلا وعي "ما الذي ورطت نفسك به أيتها الحمقاء".

.....

الجمعة2018/7/27

الساعة العاشرة مساء

كانت حواء تجلس بمركز الشرطة في حجرة أحد الضباط ولا تعلم لماذا قبض عليها ولماذا ترتعد هكذا ألم تكن هي تنوي الذهاب إليهم بمحض إرادتها لتخبرهم بكل شيء فلماذا هي خائفة كذلك أم أنك ما قالته كان مجرد زوبعة بفنجان خمدت بمجرد أن أصبحت بمنتصفها تماما. ليس بيدها أي شيء يمكن فعله. وأثناء شرودها وجدت أن باب الحجرة قد فتح ودلف شخص من ملابسه عرفت انه الضابط الذي سيحقق معها.

نظر إليها الضابط نظرة تملؤها الحقد والكره ومن دون أي مقدمات قام بصفعها على وجهها وقام بجذبها من ملابسها التي لم تحتمل قوته فتمزق جزء منها وصرخ في وجهها "كنت تعتقدين أننا لن نجدك، الحثالة امثالك يجب أن يعدموا من دون محاكمة، ايتها القذرة لقد تسببت في ازمة بين دولتين ووضعت مصر في موقف حرج جراء فعلتك النكراء، صدقيني سأجعلك تتمنين إنك لم تخرجي من رحم أمك نهائيا بل سأجعلك ترغبين في العودة إليه مرة أخرى" .

كانت حواء ترتجف كورقة في مهب الريح تحاول إصلاح ملابسها الممزقة وستر جسدها. حاولت الحديث ولكن خانتها حنجرتها كما خانها الزمن ولم يتركها ببرائتها فصمتت. عندها قام الضابط

بجذبها وإلقائها على أحد الكراسي المتواجدة وقال لها سوف تعترفي بكل شيء الأن بمحضر التحقيق وإلا".

لم تجعله حواء يكمل جملته وقالت على الفور " سأعترف. لا تقلق سأعترف".

نظر إليها الضابط بازدراء "لا تحاولي أن تكسبي تعاطفي فأمثالك شرذمة يجب الدوس عليهم قبل أن يجعلوا الأعداء يدوسون بأقدامهم المدنسة على أرض الوطن الطاهرة". صمت برهه ثم أكمل "فلنبدأ التحقيق الأن. جيد إنك ستقومين بالإعتراف بكل جرائمك من خطف و تفجير واتجار بالأعضاء البشرية والدعارة".

صرخت حواء "الدعارة، ماذا تقول لم يحدث ذلك ابدا" .

انكمشت حواء في الكرسي الجالسة عليه لرعبها من الضابط ونظرته لها "واضح أنك لن تعترفي حسنا لك ما شئت. فبطريقة أو بأخرى في النهاية ستتمنين أن تعترفي بكل جرائمك".

نظرت له حواء والدموع بعينها " سأعترف بكل شيء ولكن الدعارة لم امارسها يوما صدقني، نعم لقد فعلت كل ما سبق ولكن يمسسني اي شخص نهائيا".

نظر لها الضابط وتحدث بسخرية وهو يضع يده على كتفها العاري "ما هذا الهراء الذي تتفوهين به، جل ما يهمك انه لم يمسسك احد ها قد لمستك. لكن خطف طفل وتدمير عائلته بالنسبة لك أمر طبيعي، تفجير مبنى السفارة السعودية مؤدية بحياة العشرات من الاشخاص ووضعك لبلدك في موقف حرج مع الدول الاخرى طبيعي بالنسبة لك. يا له من منطق فاسد". أعتصر كتفها بقوة لم تحتملها فإنحت محاولة التملص من يده " انت ايتها القذرة، هل تعلمين عدد الاسلحة التي تم شرائها الفترة المنصرمة اثر التفجير الذي قمت به. وجل ما يهمك ان لن يمسسك بشر". صمت الضابط قليلا وقال بلكزها في كتفها " الجريمة الوحيدة التي تنكريها هي الجريمة الوحيدة التي عليها دليل. ولم يمهل إدراكها أبدا وقت لإستيعاب ما يحدث والإجابة بل توجه اليها بالأسئلة مباشرة . وكانت مع كل اجابة تكتشف حقارتها وحقارة ما فعلت وفي نهاية التحقيق كانت على يقين ان ما حدث لها هو الجزاء المناسب لما اقترفته يدها من آثام. فكم عين بكت بسببها. وكم قلب تدمر كمدا على فراق أحبائه. وكم جرح لن يستطيع الزمن مداواته مهما حدث كانت هي نصل السكين الذي أحدثه، هل جزاء وطنها إنها إحتوت ناكرة للجميل مثلها لم تصون ترابها أو

سمائها. الخيانة ليست دوما في التعاون مع العدو بل الخيانة كل الخيانة هو الإنسياق وراء كل ما يقال دون التفكير أو التدبر فيما يحدث. الخيانة كل الخيانة هو التواكل والتكاسل والخنوع والسذاجة في عصر أصبح حسن النية فيه جريمة يجب أن يعاقب عليها القانون. فالسياسة لا مكان لحسن النية أو الخطأ فيها.

- الضابط وهو يطقطق أصباعه" انت اين ذهبتي. اجيبي على السؤال".
- نظرت له حواء وأصرت على إجابتها "لم امارس يوما مهنة الدعارة، وهل تتعجب يا سيادة الظابط من خوفي من إلصاق صفة الداعرة بإسمي ولا أخاف من إعترافي بأي تهم أخرى، أنا ربيبة ذلك المجتمع الذي قد يسامح أي جرم قد ترتكبه المرأة إلا ما يطال سمعتها. ما عقوبة كل الجرائم التي إرتكبتها أليس الإعدام أقسم لك أن تلك الجريمة ما هي إلا رحمة لمن لفظتهم الحياة من رحمها في صحراء قاحلة لا يكون طعامهم إلا شوك ولا يجدون ما يطربون به شفاههم فتشققت أرواحهم وأصبحت جدباء غير صالحة لزرع الخير والمودة وكل التعاليم السامية فيها. هل تلومني لأنني أرفض الإعتراف بتلك الفعلة المشينة رغم أنها أخف وطأة من إزهاق أرواح الملايين أنظر لنفسك وواجهها بالحقيقة يا سيادة الضابط أيهما ينساه المجتمع وأيهما يجعل المجتمع يبصق عليك حتى وإن تبت لله. نعم أعترف بكل الجرائم ولكنني أبدا لم أكن عاهرة".

لم يبالي أبدا بهرائها، هل تريد أن تلعب دور الضحية الآن وتريد إلقاء اللوم على المجتمع في إختيارتها، كل إنسان هو المسئول الأول والأخير عن تصرفاته والتي بناء عليها تتحدد ملامح حياته. قام الضابط بتشغيل أحد شرائط الفيديو وقال لها ما ردك الأن. ظلت حواء مصدومة ومذهولة مما ترى فقد وجدت نفسها مع احد الاشخاص في احدى الشقق وهم يمارسان الرذيلة معا،فانهارت في البكاء.

"جميعكم تفعلون ذلك وتنكرون وتنددون وتحلفون بشرفكم الغير موجود من الأساس وعندما يتم مواجهتكم تبدأون بالبكاء والعويل وإلقاء اللوم على المجتمع والظروف اللعنة عيلكم جميعا لقد تربينا أن الحرة لا تأكل من ثديها لكنهم عبيد الحياة والشهوة والمال انكم اشر الناس واحقرها" لم تجبه حواء على سيل الإحتقار الذي وجهه لها وهو أيضا لم يعرها أي إهتمام ولم يتوقع إجابتها

لذلك وجه حديثة للعسكري الواقف وأمره بأن يسحبها للحجز وجعلهم يهتمون بها. ثم نظر لحواء وهو يتمتم "لم يمسسك بشر حسنا سنرى" .

.....

الأربعاء : 2018/6/20

الساعة : السابعة عصرا

رن هاتف حواء الجوال والتي انتفضت مرتعده فور سماعه، لقد أصبح رنين الهاتف لها مثل المارد الذي يرعبها ، قامت حواء بالضغط على زر الإجابة "مرحبا". أخبرتها محدثتها والتي كانت مديرة منزل والدتها، فمنذ أن توفي والدها كان لابد من تواجد أحد يرعى شئون والدتها ويهتم بها بسبب غيابها هي وأخيها. بأن والدتها في المشفى حالتها حرجة. أغلقت حواء الهاتف مع الخادمة بعد أن كتبت عنوان المشفى وخرجت مسرعة لا تعرف ما يجب عليها فعله. جل ما تعرفه ان والدتها مريضة ولابد أن تتواجد معها.

بعد مرور ساعتان كانت حواء واقفة بمدخل المشفى ومعها مالك والذي أخذ يستفسر على مكان تواجد والدتها والذي علم انها بالعناية المركزة . فتوجها إلى هناك وفور وصولهم وجدت جارتهم تخبرها "أن البقاء بحياتها وانها يجب ان تصبر" .

انهارت حواء على الارض وهي تبكي ومالك محتضنها ويحاول تهدئتها ويبكي على حالها ، واخذت تصرخ " أه يا اماه ، لماذا تركتني،اماه اجبيني ان ما اخبروني به غير صحيح , ارجوكي لا تتركيني" . اثناء نواحها وجدت الطبيب متوجه صوبها ويتحدث معها "هل انت ابنة المريضة، لا تقلقي حالتها اخذة في الاستقرار ، ما حدث لها كان من هول الصدمة فقط وستكون بخير باذن الله".

نظرت حواء الى جارتها مستفهمة ما حدث وكانت على وشك الفتك بها لكن السيدة سارعت بإيضاح سوء الفهم الذي حدث" لقد كانت والدتك جالسة معنا ولكن فؤجنا بورود مكالمة لها من الصومال تفيد ان اخيكِ تم اغتياله من قبل احدى الجماعات الارهابية هناك لأنه صمم على معالجة الجرحى والمرضى وهم كانوا يمنعون ذلك لكنه أصر على أداء القسم الذي أقسمه عندما

أصبح طبيب أيا كانت العواقب. وعندها سقط مغشي عليها. البقاء لله عزيزتي هذا عمره المكتوب له من قبل مولده". جلست حواء في حالة صدمة تحمد الله على سلامة والدتها وفي نفس الوقت قلبها يتمزق على اخيها ذلك الشاب الذي لم يعش الدنيا ومات في مقتبل شبابه ذلك النقي الذي كان إلى زهقت روحه كالأطفال في براءته.

تكفل مالك بكل الاجراءات القانونية لاستلام جثة اخيها وكذلك لإقامة سرادق العزاء موصيها ألا تترك والدتها نهائيا وان تبقى بجانبها والا تقلق على شيء غير أبه بما يتحدث به الناس المستفسرين عن صلته بتلك العائلة المنكوبة. لا يهمك كل ما حدث لهم ولم يقف أحد بجوارهم لكن لا مانع أن تلوك ألسنتهم سبب تواجده وصلته بهم. جل ما يهمه هو عدم ترك حبيبته في تلك الظروف لوحدها وهو يعلم انها لا تعرف ما الواجب فعله في مثل تلك الحالات. نعم لم يعد لهم أحد غيره الأن وهو يتصرف على ذلك الأساس.

.....

الثلاثاء : 2018/4/24

الساعة: السابعة مساءا

كانت حواء تجلس بمنزلها تستمع إلى أحد البرامج التلفزيونية الترفيهية وتبتسم عندها وجدت سماح تفتح باب الشقة وتدلف إلى الداخل، نظرت لها حواء وألقت عليها السلام والذي ردته سماح باقتضاب. لم تعرف حواء ما الذي حدث في الآونة الأخيرة إلا أنها وسماح لم تعودا مقربتان مثل قبل بل أن الأجواء مضطربة بينهم ولم تعودا تتحدثان كالسابق.كانت على يقين بأن سماح تعلم ما إقترفته يدها من جرائم لذلك فضلت الإبتعاد عنها وهي لا تلومها في قرارها فهي لو كانت بمكانها لكانت أبلغت عنها وليس فقط إبتعدت.

تنهدت واستدارت تكمل البرنامج الذي كانت تستمع له وعند إنتهائه استعدت للوقوف للذهاب إلى غرفتها ولكن يدها اصطدمت بمظروف بجوارها. والذي تفاجئت من وجوده فهو لم يكن متواجد من قبل، مدت حواء يدها وقامت بفتحه والذي فور رؤية محتوياته قامت بالقاؤه وإنهارت بنوبة بكاء هستيري.سمعت سماح بكاء حواء فخرجت مسرعة لتطمئن عليها وتسألها ما حد. تداركت حواء الموقف وقامت بجمع الصور المتناثرة على الأرض بسرعة وأخبرت سماح أنها على ما يرام

وإنسحبت مسرعة إلى غرفتها دون أن تضيف كلمة أخرى تاركة سماح وهي تنظر بشفقة على صديقتها.

شرعت في البكاء مجددا وهي تنظر إلى الصور الملقاة على سريرها والتي تكن إلا صور آسر الطفل الذي قامت بإختطافه. ولكنه جثة هامدة وقد إفرغت محتويات أحشاؤه بطريقة غير أدمية ذلك الملاك المشرق وجهه، أطفت بيدها نوره فلم ترحم زرقة الموت هذا الطفل. ما الذي فعله في أعوامه التي لا تتعدى صوابع اليد الواحدة ليكون هذا مصيره. من الذي خول لهم سرقته بهذه الطريقة سرقة أعضاؤه وأحلامه وإبتسامته بل وسرقة حياته. لما مصير الانقياء العذاب والشقاء في تلك الدنيا. هل علمت والدته ما حدث له أم ما زال لديها أمل بعودته. ذلك الأمل الكاذب بأننا لم نؤذي أحد ففي المقابل لن يؤذينا أحد. ذلك الأمل بإستيقاظنا في أحد الأيام لنجد أن الوضع أصبح يسير في طريقه الصحيح وسننال مقابل الحسنى حسنى مثلها. إذا سرق الأمان والعدل والإستقرار والمستقبل من العالم ما الذي سيقيمه ويجعله صالح للحياة؟ لقد تحول بالفعل إلى غابة ومستنقع أسيد لا أحد ينجو منه فالكل سقط فيه وهو يذيبهم بمنتهى البطء والألم منهيا حياتهم بعد عذاب وشقاء وهو يتلذذ بمناجاتهم وبصراخهم.

أخذت تردد وهي تنتحب ما الذي فعلتيه؟ ما ذنب هذا الملاك؟ الويل الويل لي. رحماك ربي لم اكن اعلم أقسم إنني لم أكن أعلم ألم تخبرنا بأن الأعمال بالنيات. الويل لي لقد كنت أعلم إنه سيلحقه أذى فلا أحد ينجو من تلك الأفعوانية فهي ترفعنا عاليا وتقذف بنا وتنظر لنا أثناء تحطم عظامنا وأنيننا. رحماك ربي والطف بي. ألطف بأمتك العاصية الشاردة الضالة. وهل لك أن تطلبي الرحمة من الله. وهل تعرفين الله حقا. من تخدعين, هل تخدعين نفسك أم ماذا. وأخذت تبكي وتهلوس بكلام كثير غير مترابط خرج فقط ليوضح مدى التشتت والتيه الذي يعتمرها إلى أن غطت في نوم عميق لعلها تهرب من عذاب ضميرها أو بالأصح الباقي منه.

.....

الثلاثاء : 2018/7/10

الساعة : السادسة مساءا

كان مالك يجلس بالمقهى منتظرا حواء بعد أن هاتفته لتبلغه رغبتها في لقاؤه. كان يستمع لمقابلة لأحد المغنيين المشهورين الأجانب ويبدو على وجهه التأثر لدرجة أنه لم ينتبه لذلك الخيال الواقف خلفه. كان يستمع بكل كيانه للقاء فلقد جفل بمجرد أن وضعت حواء يدها على كتفه.

نظر مالك خلفه ليجد حواء فوقف ليسلم عليها ويجلسها "مساء الخير حبيبتي".

إبتسمت حواء وهي تتسائل ما الذي يستمع له وجعله في حالة إنعزال عن العالم. أخبرها مالك أنه كان يستمع لمقابلة تلفزيونية لمغني مشهور هو وفرقته يدعى جاكوب[1] وأن المذيع أراد يحرجه فذكر أمام المشاهدين إنه ربيب أحد دور الملاجئ. إلا أن المغني قلب الوضع لصالحه وكما يقولون قلب الطاولة على المذيع. حيث أخبر المذيع بقصة حياته أخبره عن الألم النفسي الذي لاقاه في الملجأ. أخبره عن وسائل التعذيب الذي كانت تتفنن فيه مديرة الدار ليس في حقه فقط بل بحق الجميع. كانت تغلق مخزن الطعام ولا تسمح لأحد بالأكل بعد الساعة السادسة ولا يسمح لهم بالأكل إلا الساعة العاشرة صباح اليوم التالي. كانت أحيانا تمنعهم من دخول المرحاض لدرجة أن البعض كان يبول ويخرأ على نفسه عندما تنهار مقاومته. أخبره أن هناك بعض العاملين بالدار إعتدوا جنسيا على البعض منهم وأن الله حماه من هذا. أخذ يسرد له أنه ليس هناك رقابة على الملاجئ ولأن الدولة تعطي مقابل مادي لأصحاب ومديرين تلك الدور فأصبحت وسيلة للربح المادي وليس لرعاية ملائكة قصت أجنحتهم قبل أن تنبت فبدلا من أن يضمدوا تلك الأجنحة ويداووها تركوها تنزف دما وصديدا.

أخبره أن العديد من زملائه في الدار ماتوا من جراء التعذيب. وأن هناك من تشوه نفسيا ولم يجد من يحاول تجميل ذلك التشوه بمشوار حياته فأصبح ناقما على المجتمع فأخذ يعاقب المجتمع بطريقته وفي النهاية هو حبيس أربع جدران في أحد السجون. لم يكفيهم حبسه وهو صغير فحبسوه وهو كبير، هم صنعوا المجرم وفي النهاية هم عاقبوه. أخبره أن هناك من لم يحتمل وما زال حبيس تلك التجربة المريرة فقرر التضحية بحياته فقط ليتخلص من الألم المتصاعد بداخله.

كانت تلك المرة الأولى التي ترى حواء مالك يبكي لذلك لم ترد مقاطعته وتركته يسترسل بحديثه. فأخذ يقص عليها بأن ما زاد ألم جاكوب أن كثير من العائلات كانت تتبناه بسبب سلوكه المهذب

[1] أحد أبطال رواية عزرا ملك الموت

وثقافته ولكن للإسف ما إن يتخذهم أهلا إلا ويغدروا به ويلقوه ثانيا في السعير بأيديهم فهو لم ولن يكن من لحمهم يوما وما إن يأتي الذي من صلبهم ينبذونه كأنه قمامة لا مشاعر فيها ولا روح. اخبرها إنه في أحد المرات من تبنوه لم يكلفا خاطرهم بإرجاعه للدار بل طردوه بخارج منزلهم مع لعبة وبعض المال وإنه في تلك الليلة جلس أمام الدار وبيده تلك اللعبة التي كانت أخر إرث له من أبويه أو من كان يظنهما هكذا. كان جسده الصغير يرتجف أمام باب الملجأ الذي عاد إليه للمرة الثالثة. في كل مرة يخرج من ذلك الباب يكون على يقين بإنه لن يعود إليه مطلقا ويعلق أماله على تلك العائلة التي تخبره إنه أصبح ولدها والأ يحمل للدنيا أي هم بعد ذلك. ولكنه في كل مرة ينتهي به الأمر بالعودة للدار وعقاب مديرة الدار. لم يعد هناك مكان بجسده لم ينتهكه عقابها. كان الجميع يسمونه تميمة الحظ ومديرة الدار تلقبه بوجه الشؤم وهو بين الإثنين حائر. ظل جسده يرتجف منتظرا الكلمة الأخيرة للقدر. ولكنه لم يعد يؤمن به فأخذ نفسا عميقا ملأ رئتيه الهشتين بهواء طوبة البارد وألقى بتلك الدمية على الأرض وإتجه بصوب باب الملجأ وعلى وجهه رسم إبتسامة قائد خسر حربه.

أخبرها إنه منذ ذلك اليوم ولم يعد يبالي بأي شيء تفعله مديرة الدار أو من حوله فلقد فقد الأمل بهم جميعا. ولقد أيقن إنه ليس هناك إله يحكم هذا الكون العبثي وإنعزل بكتبه عن المجتمع مضمرا في نفسه الهروب ما إن يقوى عليه. وإنه بالفعل هرب وأن بداية هروبه كانت بداية نجاحه رغم الصعوبات التي لاقاها ففي بداية هروبه لم يجد له مأوى لكن الشارع كان بالنسبة له جنة بجوار الملجأ وكان يشارك القطط أكلها من القمامة أو أن يتطلف به أحد فيعطيه بقايا وجبته.وبعد فترة أشفق عليه صاحب محل وجعله يعمل معه ويبيت ليله بالمحل وتلك كانت أول مرة يجد الرحمة والرأفة من قلب بشري. وما شكل كل الفارق في حياته هو مقابلته لأعضاء فرقته أعاد إلى جسده الدفء وإلى عقله الإتزان وإلى قلبه نبضاته.

أخبرها أنه الأن متزوج من فتاة تعلم ماضيه وأحبته رغم ذلك. وأنه وفرقت إفتتحوا ملجأ به كل وسائل الراحة والتعليم المتقدم فهم يؤمنون بأن المحبة الفرق بين الملاك والشيطان هو التربية والبيئة ولقد قرروا أن يكونوا جزيرة أمنة وملاذ لكل من نبذته الحياة ويتجاوز عددهم حاليا الخمسمئة طفل.

صمت مالك محاولا السيطرة على كل المشاعر التي تعتريه تاركا المجال لحواء لتعقب على حديثه فنظرت له وهي تحرك رأسها كدليل على وزن كلامه وحديثه "أنا أتعاطف معه بقلبي ولكن لن أقبل أن أرتبط بشخص مثله فزوجته مخطئة تماما في الإقتران بربيب الملاجئ. لا أحد يعلم مقدار الضرر النفسي الذي أصابه جراء ما لاقاه بحياته فهو كالقنبلة الموقوتة التي قد يفعل زرها بأي وقت وبدون سابق إنذار. ثانيا ألم يخبرنا رسول الله أن نتحسس من سنرتبط بهم لأن العرق دساس، وهذا لا يعلم من أبواه فقد يكونا فاسدين أو مرضى بأمراض عضوية أو نفسية تنتقل لأبنائنا".

طأطأ مالك رأسه وهو يسألها" وهل ذنبه إن أبويه تخلوا عنه. هل ذنبه إنه لاقى الويلات من قسوة البشر. هل ذنبه إنه خلق في الدنيا دون حساب لأي مستقبل له. هل نمنعه من الحياة وتأسيس أسرة لهذا السبب. حتى وإن كان رائع. لما يوصم بذنب لم يرتكبه. ذنب جعله حطام وأنهكه".

مطت شفتيها" لم أقل إنه ليس من حقه تكوين أسرة وحياة، لكن فليرتبط بربية ملجأ مثله على الأقل يرحمها هي الأخرى من نظرة المجتمع لها. يمكن مجتمع هذا المغني يختلف عن مجتمعنا لكن هنا فالجميع نفكيرهم واحد".

غير مالك دفة الحديث كأنه فقد الرغبة في إستكمال الحوار فسألها عن سبب رغبتها في لقاؤه، وهنا تبدل وجهها تماما فمن زهو وكبر إلى كسرة وخنوع وخوف ومن صوت جهوري لصوت تتكسر كلماته عند شفتيها. ومن كتف مفرود لكتف مقوس منحني. نظرت إليه وعيناها مغرورقتان بالدموع "مالك، عدني أنني مهما قلت لك لن تتخلى عني ولن تتركني أبدا، فلا أحد لي سواك".

إعتدل مالك في جلسته وإنحنى بجذعه بإتجاهها "ماذا هناك حواء لقد بدأ صبري ينفذ والقلق بلغ مني مبلغه" .

- عدني أولا.
- أعدك حبيبتي انني لن اترك مطلقا.

اخذت حواء تقص ما حدث وما ارتكبته من جرائم وهي متاكده أنه لن يصدقها أبدا ولكن كانت كلما تتوغل في سرد ما حدث كانت تشعر أن هذا الجبل بدا أن ينجلي من على صدرها

وشهقاتها تهدأ وروحها تستكين. لم تكن تعلم أن هذا الجبل انجلى من صدرها وذهب على صدر مالك لم تكن تعلم بانها زرعت بقلبه الالاف الخناجر المسممومة. لم تكن تعلم أن مع كلمة تتلفظ بها يستشعر مدى حقارته وما هو ورطها فيه. تبا يا حواء لقد انزلقت قدماك إلى أسفل السافلين وكل هذا بسببي، هذا ما كان يشعر به مالك ويحدث به نفسه.

- هذا كل ما حدث وأعلم أنك قد لا تصدقني ولكن اقسم بالله انني لم اقل غير الصدق، وإن تخليت عني لن اغضب منك مطلقا فأنا لا استحق اي شفقة أو رحمة من أحد.
- لا تقلقي حواء انا اصدقك ولن اتركك مطلقا، فمنذ أن توفى اخيك وأنا عاهدت نفسي ألا اتركك مطلقا مهما حدث. وان افديك ولو بروحي عزيزتي.

حواء بفرح وقد وجدت بصيص امل" حقا. لا اعلم ماذا أقول لك. ولكن ما العمل؟ فأنا لا أعلم عنه أي شيء وليس هناك أي دليل على ما تفوهت به الآن. بل الأدهى أن متورطة تماما بتلك الجرائم والتي أقل عقوبة بها أن أقبع في ظلمات السجن لمدى الحياة. والأنكى هو أنني على جهل تام بكيفية التخلص منه ومن أوامره.

مالك بحزن وهو يعرف الاجابة مسبقا "هل تعرفين رقمه؟ او عنوان بريده الالكتروني؟ او اسمه؟".

حواء تهز رأسها نفيا "لا لم اعلم أبدا أي من تلك المعلومات فالرقم الذي يقوم بالاتصال به خاص ولم يقل ابدا اسمه والروابط بمجرد لعبها تفسد أو تمحى فأنا لا أفقه شيء بالبرمجة".

مالك وهو يعلم أنه ليس بإمكانه فعل شيء ولكن حاول أن يبث فيها الهدوء والأمان "حسنا اتركي لي الموضوع وساحاول أن اجد الحل".

أمسكت حواء يده وضمتها لوجهها " اتمنى ذلك ، فكل اهلي لقوا حتفهم جراء هذا الاختبار ولم يتبقى لي غيرك انت وغير أمي. صحيح أنها ليست بوعيها ولكن على الاقل هي حية وبجواري".

كان يدمي مالك كذبه عليها وخداعها فهو مثلها منقوش على جسده تعويذة بيد ذلك النجس تمنعه من التحرك إلا بأمره. تعويذة تشل حركته وتكبل يداه وتلغي عقله. كل ما كان يستطيع فعله هو أعطائها وعود كاذبة لا أكثر "لا تقلقي حبيبتي. باذن الله سأجد الحل. وفي عقله الف سؤال ولكن أهمهم هو كيف؟.

.....

السبت11/ 8/ 2018

الساعة : الثانية ظهرا

كانت حواء منزوية في جانب الزنزانة وملابسها ممزقة جراء ما لاقته من ضرب وتحرش بها وإنتهاك لحرمة جسدها بطريقة لا تفصلها عن الإغتصاب إلا شعرة واحدة. كل هذا وما زال هذا يومها الأول بالزنزانة. وكأن المسجونات شياطين منغمسات في الكربة، لا مبرر لتصرفاتهم إلا أن عفن الزنزانة الذي يتخلل إلى خلاياهم يوميا أصاب عقلهم وأخلاقهم بالعطب والعفونة. أحيانا كانت ترى خلف تصرفاتهم تلك كسرة نفس غريبة ونظرات حزن وإذا رجعت للواقع كانت لترى أن أكثر من إنتهكتهم الحياة وإغتصبت أحلامهم هن المتواجدين أمامها، هي لا تعلم السبب القابع خلف ستار تصرفاتهم هل هن مجبرات ومأمورين لفعل ذلك، أم إنهن كانوا ضحايا لمثل ما حدث لها فقرروا أن يذيقوا كل من يقع تحت طائلة أيديهم ما حدث لهم. كل ما كانت تعلمه إنهن حضرن خصيصا من الجحيم ليذيقوها وبال أمرها، رغم إن الجحيم لا شيء مقارنة بتلك الزنزانة لحم بشري متكدس فوق بعضه بعضا في حجرة لا تتجاوز الخمس أمتار، يأكلون وينامون ويخرئون في ذات المكان كالبهائم أين حقوقهم أين أحلامهم أين إحترامهم لذاتهم. أقل ما يمكن أن يحدث للإنسان في هذا المكان هو فقدانه لإنسانيته وأدميته.

جلست تحاول أن تلملم شتات أمرها وتتذكر ما حدث كانها تراجع شريط حياتها ، تذكرت كيف صدق ذلك اللعين في كلامه وبالفعل حكموا على من قتل والدها بالحبس ستة أشهر وكيف تم تأييد الأمر بعد ذلك بشهر. إبتسمت حواء بسخرية يا لسرعة العدالة الظالمة التي لا ضمير لها، كانت دوما تؤمن بقضاء بلدها وبالعدالة ولكنها إكتشفت أن عينيها معصوبة لسبب مهم وهو ألا ترى ما يفعل بها. كانت لا تصدق أبدا أن هناك مظلومين قابعين خلف قضبان السجون وهناك مجرمين طلقاء يتقلدون المناصب الحساسة بالدولة والتي تتعجب دوما لما تم تسميتها بحساسة هل لأنها مثلها مثل المناطق الحساسة بجسد الإنسان عورة ويجب ستر فضائحه.

كانت تترائى الذكريات تنساب أمام عينيها فمرت ذكرى أول مهمة لها هنا فقد أنتبهت إلى ذلك الشخص الذي كان بالشريط المصور الذي رأته " يا الهي أنه هو". صرخت حواء بتلك الكلمة ولكنها صمتت فور رؤية الوجوه المتجهة اليها واكملت حديثها في نفسها. هو ذاك الشخص الذي ذهبت له وهو بسيارته واتفقت معه على قضاء ليلة معا مقابل المال، ولكن هذا كل ما حدث فهي لم تذهب ولم تره ثانيا. فكيف حدث ذلك كيف تم تصويرها معه في تلك الوضعيات. اه يا حواء ما الذي يحدث. أه يا مالك يا ليتك كنت بجواري. كم افتقدك وأفتقد أمانك. لماذا تخليت عني الان يا مالك؟ لماذا؟ وشرعت بالبكاء.

قاطع حبل افكارها حركة باب الزنزانة وهي تنفتح والعسكري يقوم بالمناداة على اسمها. سارت حواء بجوار العسكري أو بالأصح كان يقوم بجرها من معصمها إلى أن وصلت لحجرة الضابط عندها دلفت إلى الحجرة ووجدت الضابط يقول لها أجلسي. ونظر لها نظرة تملؤها الشماتة ثم استدرك "كيف حال الحجز رائع اليس كذلك؟"

لم تجبه حواء لذلك أكمل " حسنا. ما رايك انه لم يقم أي رقم خاص بالاتصال في الايام التي حددتيها. وهذا كان رد شركة الإتصالات التي تنتمي إليها شريحة هاتفك بل والأدهى إنك لم تقومي باجراء أي إختبار أو لعبة أو فتح مواقع خاصة بتلك الألعب مطلقاعن طريق الانترنت نهائيا هذا العام أو أي عام سابق. بل جل ما فعليته هو الدخول لتلك المواقع". واعطاها الورقة ويملأ عينيه نظرة تقزز منها لا تعلم سببها إلا عندما نظرت للورقة. ذهلت حواء فهي لم تدخل أبدا لتلك المواقع فكانت معظمها عن كيفية تصنيع متفجرات أو مواقع إباحية أومواقع للتبرع بالأعضاء وفي النهاية مواقع لتعلم طرق مازوخية جديدة. ابتسمت حواء ابتسامة ساخرة، لقد اوقعها ذلك اللعين في الشرك حقا لذلك اسرت الصمت . فاكمل الضابط "اعتقد أن وجود شخص يهددك وما الى ذلك محض خيال لك أو محاولة منك لإدعاء الجنون والمرض النفسي وفي جميع الأحوال لن يفلح ما تتدعيه لإخراج نفسك مما اقترفته يدك. سوف أحيلك للنيابة العامة. وهي من تقرر ما تفعله بحثالة مثلك. تعالى وقعي على اقوالك". نهضت حواء وقامت بالتوقيع على اقواله ثم سارت ثانيا إلى الزنزانة في حالة لا مبالاة غريبة ولكن يعتيريها خوف من معرفة معارفها بما حدث فقد يدمر ذلك والدتها كليا.

.....

الأربعاء : 2018/5/30

الساعة : التاسعة مساءا

كانت حواء تشاهد التلفاز وتقلب بين قنواته ولكن استوقفتها صورة موضوعة على الشاشة لذلك أوقفت القناة على الفور واعتدلت لتعرف ما حدث. فما كانت تلك الصورة إلا صورة صديقتها سماح والتي لم تكن تعرف أين ذهبت في الفترة الماضية. لذلك قامت بإعلاء صوت التلفاز لتعرف ماهو الخبر المتداول عن سماح وما يحدث. وكان المتحدث في التلفاز يبدو عليه الغضب "ما معنى ذلك. هل وصل الاستهتار بالجسد المصري إلى هذا الحد. لماذا لم تتحرك السفارة المصرية لحماية مواطنيها بالسعودية أو بأي دولة أخرى. كيف يمكن السكوت على تلك الجريمة الشنعاء وعلى إهدار حقوق المصريين تحت مسمى لقمة العيش. طبيبة مصرية محترفة في عملها لمجرد خطأ في إحدى العمليات يقوم أهل المريض بقطع يديها التي هي مصدر رزقها. ما هذه الهمجية. وكيف لم يتخذ ضد مرتكبي الجريمة أي اجراء قانوني بل الحكومة تدافع عنهم ولا تجد غضاضة في جريمتهم. هل اصبحنا بلا قيمة لهذه الدرجة. اريد الإجابة علي أسئلتي من قبل المسئولين. أين السفارات أين وزارة الخارجية أين منظمات حقوق الإنسان، بل الأدهى أين مصر مما يحدث لأبنائها". ذهلت حواء مما سمعت وقامت على الفور بالاتصال بمالك وهي تبكي وما أن رد عليها مالك حتى قالت "سماح, سماح, هل رأيت ما حدث لها".

رد عليها مالك بلامبالاة "نعم وعلمت ما حدث، لقد كانت تجري عملية جراحية لأحد الاشخاص المهمين بالسعودية ولكنها ليست خطيرة واخطأت سماح أثناء العملية وقطعت أحد الشرايين الرئيسية بالجسد ومات هذا الشخص على الفور، لذلك قام ذويه بقطع يديها ونشر الفيديو المصور على الانترنت كعبرة لأي شخص، ولم تتخذ السلطات السعودية أي اجراءات ضد ذويه لاهميتهم في الدولة" .

كانت حواء تسمعه وهي تبكي" أنا لم اكن أعلم أين ذهبت ولم أعرف عنها شيئ مطلقا، لكن دوما أعتقد إنها بخير، فيكون أول خبر اسمعه عنها هكذا يا الله ، وكيف هي هل هي بخير أين ذهبت هل عادت لمصر هل هناك أمل أن يتم وصل يديها بجسدها مرة أخرى".

رد عليها مالك "لا اعرف ولا احد يعرف مطلقا. تلك ليست المرة الأولى التي يتم فيها الإعتداء على أحد المقيمين بالخارج أو العاملين بالخارج. لكن هل تعلمين يا حواء العيب كل العيب عليهم. نعم الجوع قاتل والفقر يدفعك لفعل مالا يمكن تخيله. لكن التنازل عن الكرامة والسماح بإهانتها بحجة الرزق هو امر إختياري. أنا لا أحكم عليهم لكن هناك جانب من المسئولية تقع على عاتقهم".

حواء " فتاة وحيدة ببلد لا تعرف به أحد، ما الذي كان يمكنها أن تفعله. من تتحدث عنهم لم يتغربوا عن دفء عائلتهم إلا لمسئوليات تقع على عاتقهم تكبلهم وتجبرهم على الخنوع. لو وجدوا أي امل لما قبلوا نهائيا. هل تعلم يجب أن يدفعوا ثمن ما فعلوه بها، مسكينة سماح".

صمت مالك لبرهة " سماح كانت تعمل طبيبة وكانت أحوالها جيدة ما الذي يدفعها لترك بلدها، حسنا لا تحزني. الله منتقم جبار".

حواء كانت لا تريد أن تبدأ شجار مع مالك، كيف يتحدث عن صديقة عمرها بتلك الطريقة، كيف لم يراعي حزنها وألمها لذلك قررت إنهاء الحديث " بالفعل الله سينتقم لها سأتركك الان مالك فانا لا اعلم ما يحدث". واغلقت حواء الخط مع مالك ولا تعلم أن مالك كان يقصد سماح بتلك الكلمة. وكانت كذلك لا تعلم بأنه أصبح على يقين بأن التالي هو.

.....

الثلاثاء: 2018/8/14

الساعة : التاسعة صباحا

كانت حواء تستعد لترحيلها إلى سراي النيابة ولكن قبل ذهابها طلبت من الضابط كوب ماء لتشربه وبعد ذلك ركبت عربة الترحيلات لنقلها، وأسندت راسها للخلف نادمة على ما فعلت ولكنها غطت في نوم عميق بعد عدة ساعات استيقظت فجأة ووجدت نفسها مستلقية على سريرها بغرفتها في قلب شقتها. في بداية الأمر اعتقدت ان ما مرت به كان حلم مزعج لولا أن رأت ملابسها والكدمات التي بوجهها وجسدها نتيجة الإعتداءات التي تعرضت لها. تشوش عقلها وحاولت التذكر وما حدث ولكن هيهات. تكومت على أرض غرفتها بجوار

سريرها في وضعية الجنين وإنتحبت كما لم يفعل أحد من قبل. بكت على أبيها وأخيها ووالدتها، بكت على سماح وما إن تذكرت مالك حتى زاد نحيبها وأخذ جسدها في الإرتجاف كأن جان قلد تلبسها. ظلت على تلك الحال لأكثر من ساعتين ولكنها في النهاية توقفت عن البكاء أو أن عينيها قد أرهقها كثرة الدموع فقررت التوقف والإرتياح قليلا المهم إنها قامت واغتسلت. كانت تحك جسدها بطريقة قاربت على سلخه فقط كمحاولة لمحو كل ما حدث لها من عقلها وأثاره من جسدها، وغيرت ما كانت ترتديه وجلست صامتة تفكر وتتعجب كيف حدث ذلك. إلا ان تعجبها لم يدم حيث وجدت هاتفها يرن فقامت بالرد على الفور ولكن محدثها لم يعطها فرصة للتحدث "أرجو أن تكوني علمتي من أنا ولا تتحديني مرة أخرى"

- ولكن كيف ؟؟
- ألم تتعلمي. أنا اتحكم في كل شيئ وكل شخص، أنا من أدخلتك الحبس وأنا من اخرجتك منه فالتحقيق كان مزيف عزيزتي ولكن يمكن أن أجعله حقيقة إن رغبتي في ذلك.

ما إن تذكرت حواء ما حدث لها إقشعر جسدها ولكنها كانت غير مصدقة ما تفوه به "انت زيفت كل شيء وكان الموضوع مجرد ممثلين ينفذون أوامرك".

- انك غبية بل أنت عنوان للغباء.كل ما حدث كان حقيقة، هم ممثلين حقيقين في لعبتي يمتلثون لكل ما أخبرهم به وإلا. كل ما هنالك إنه لم يتم تسجيل التحقيق ولا احد يعرف عنك شيئ دخلت وخرجت مثلما يدخل ويخرج كثيرون. فالضابط تحت طوعي يفعل ما امره به مثله مثلك تماما.
- كل ما جال بخاطرها إنها ضعيفة لذاك الحد الذ وعلى الرغم من خسارتها كل من تهتم بأمرهم لكنها خائفة على نفسها لذلك ما زالت تقبع أسفل سطوته. ما أصبحت على يقين منه إنها فور أن تقتل مشاعر الخوف لديها ستتحرر، ستتحرر من كل شيء وأي شيء، ستتحرر كإنها أخلاجت حديثا من رحم أمها، فأيا ما سيحدث لن يؤثر فيها. لكنها الأن خائفة على نفسها وسمعتها ولاتريد خسارتهم هم أيضا. وما إن تذكرت سمعتها حتى تذكرت الفيديوفبادرت بسؤاله " ولكن الفيديو لم افعل ما به مطلقا ؟ فكيف ذلك".

- سأعطيك درس ونصيحة لن تتعلميهم بمفردك طوال عمرك، حتى تحكمي سيطرتك على شخص لابد أن تعلمي حدوده وتعلمي مرتكز خوفه تعملي متى يجب أن يفقد الأمل ومتى يجب أن تمنحيه الجنة، متى يجب أن تذيقيه طعم النيران ومتى تضمدي جراحه، والأهم من هذا كله متى يصبح الشخص منتهي الصلاحية وغير قابل للإستهلاك فتقومي بالتخلص منه. ففتاة مثلك أكثر ما تخاف عليه هو سمعتها لذلك إن طلبت منك أن تداعبي الرجل الذي كان بالفيديو كنت لن توافقي أبدا حتى وإن ألقيتك حية للأسد. في حين أن الفتاة التي كانت بالفيديو لا مانع لديها لأن تنتقل بين أسرة الرجال لكنها جاهلة وضحلة ولا عقل لديها. لذلك كان يجب ان تتمي أنت كل شيء خارج السرير وهي تكفلت بالبقية فهي في نهاية الأمر فتاة ليل شبيه بك إلى حد كبير والظلام الذي كانت به الغرفة جعلتها مثلك تماما حتى القاضي لم يفرق بينكما.
- مقصدك الضابط
- لا عزيزتي بل القاضي. فمن تحدثتِ معه واتفقتي معه وظهر بالفيديو كان القاضي الذي اكد الحكم على الشاب الذي قتل والدك.
- حواء غير مصدقة "ماذا؟".
- نعم فلولا تهديده بهذا الفيديو لم يكن ليؤكد الحكم بهذه السرعة. يعشق أن يخون زوجته مع فتيات مثقفات أبناء مجتمع فهو لا يحب أن يهدر وقته على عاهرة. هذا القاضي يعتقد إنه أعلى وأغلى من أن يهدر فحولته على فتيات وطئها غيره. لذلك جعلتك تقابليه في بداية الأمر. وحتى لا تتسائلي لما أنت بالتحديد سأجيبك فقط للمتعة. لإمتاعي هل تدركين حجم الهزل في أن تكوني أنت السبب في إخراج من دهس أبيك أسفل إطارات عربيته بكل بشاعة غير أبه بصراخ أبيك الذي كان يصم الأذان ففي النهاية أفعالك ترد اليك بطريق او باخر.
- بكل مرارة أجابته "صدقت".
- سأتركك الان وستجدي مفتاح شقة مالك أمام منزلك هناك صندوق له رقم سري ويحتاج لمفتاح خاص لفتحه حتى إن حاول أي شخص أخر فتحه عنوه سيتدمر كل ما بداخله وللأسف حتى انا لا اعرف الرقم السري وليس معي مفتاحه. أريدك أن تبحثي عن المفتاح وتخمني الرقم السري وأن تحاولي فتحه فانت تعرفي مالك اكثر مني".

- مالك . كيف هو الان؟.
- ما زال في الغيبوبة . ولا يهمني كثيرا رغم إنه كان تحفة فنية خلقتها يدي ولكن كما أخبرتك يجب أن تعلمي متى يجب عليك التخلص. ما علينا جل ما يهمني الصندوق. أريد ان اعرف ما به.
- لما هل به شيء مهم لهذه الدرجة.
- لا أعلم، ولا أعتقد أن به شيء مهم لشخصي على الأقل فأنا مجرد خيال بعقولكم لتبرروا به أفعالكم وإختياراتكم. مجرد شماعة تعلقون عليها نجاستكم. انا فقط أريد أن أعرف. أو بالأصح وإن صح تخميني بمعرفة تلك التحفة التي خلقتها فما بالصندوق يهمك انت أكثر. لكن المعرفة والفضول وشعوري بإطباق السيطرة على كل من أدخلتهم اللعبة حتى بعد رحيلهم هم ما يدفعوني لمعرفة ما بداخل الصندوق. مالك طلب صنعه خصيصا من أحد الأشخاص وهذا ما يجعلني على يقين بأن الموضوع متصل بك.
- حسنا. اغلقت حواء الهاتف وخرجت امام شقتها واخذت المفتاح وزاد فضولها فهي تعرف أن هذا الصندوق لها ومفتاحة ملتف حول رقبتها كإنها رسالة وداع أخيرة تركها مالك لها وهي في شغف أن تتواصل معه مرة أخرى حتى ولو برؤية ما تركه لها. إلتقطت مفتاح شقة مالك وهي تدعو الله بالخلاص.

.....

الاثنين : 2018/8/20

الساعة : الواحدة ظهرا

دلفت حواء إلى شقة مالك وهي تنظر لها وكل شيء فيها مدمر نتيجة الفحص الجنائي لها لمعرفة سبب ما حدث له وتقف على ملابساته هل هي جريمة الشروع في قتل أم محاولة إنتحار. جلست قليلا تتذكر مواقف مالك معها وكيف إنه بالفعل كان حمايتها كما كان يقول. تذكرت كل لحظاتهم سويا وكل تضحياته لاجلها وكل الحب الذي كان يكنه لها. تذكرت ضحكاته وغزله. إشتاقت له بكل إشتاق له كل خلية في جسدها كانت تبكي وتسال ما سبب هذا الدمار الذي حل بهما. ألم يكن مسموح لهما أن يعيشا مثل أي متحابين وينشئوا اسرة

سعيدة. فأب كمالك كان سينشئ طفل قوي ذكي به كل مقومات النجاح. كان سيجبرها كما سيجبر نفسه على إنجاح أسرتهم التي ستتكون على مر السنين. ولكن هيهات كأن الأرض لفظتهم وضنت عليهم السماء بقطرة أمل تبلل شفاههم المشققة من الكبد والقهر والمشقة. نفضت من عقلها تلك الاوهام وبدأت بالبحث عن ذلك الصندوق إلى أن وجدته حملته معها إلى شقتها لمحاولة فتحه فيما وبعد وهرولت مسرعة خارج الشقة قبل أن يلمحها أحد.

حاولت كثيرا التكهن بالرقم السري فهذا هو العقبة الوحيدة أمام فتح ذلك الصندوق. حاولت بكل الأرقام التي تخطر ببالها من تاريخ ميلاده، الى تاريخ تعيينه، الى تاريخ أول مقابلة لهم، الى تاريخ ميلادها. ولكن كل ذلك لم يجدي نفعا. لذلك تركته لعلها تستطيع فتحه فيما بعد عندما يصفى ذهنها من كل ما يشغله ولأن موعد زيارة والدتها قد حان. ذهبت أولا للاطمئنان على مالك وعلى حالته والتي مازال الوضع كما هو عليه. ثم ذهبت لبر الأمان لذلك الحضن الذي يتسع للعالم ويساوي العالم، ذلك الحضن الذي وإن كانت شيطان أفاك سيحنو عليها ويحميها ويداريها ويتقبلها بكل ما صنعته وإرتكبته حضن والدتها وجدتهما على حالهما منذ تركتهما فهذا في غيبوبة صحية وتلك في غيبوبة عقلية.

جلست تحكي لوالدتها كل ما حدث معها هي تعلم إنها لا تعرفها. ولكن هي تعلم إنها والدتها وإنها تشعر بها حتى ولو لم تتفاعل معها فالقلب له ذاكرة كالعقل تعتمد على مشاعرنا وأحاسيسنا فإن نسي العقل فلن ينسى القلب أبدا. أماه يا أماه اعتذر لكِ على كل ما حدث يا ليتني مت قبل أن يحدث كل هذا. يا ليتني لم أولد من الاساس. لكن كل شيء خارج إرادتي. قامت بإحتضانها وقبلتها وعندما همت بالرحيل أمسكت والدتها يدها وقالت جملة وحيدة " والدك كان على يقين بإنك لن تقبلي بالتنازل عما ربيتي عليه ولو مقابل ألف إختبار".

إتسعت عيناها ما الذي يعنيه كلام والدتها وحاولت مرارا أن تفهم ما الذي تفوهت به لكن هيهات لقد عادت والدتها إلى هذا الملكوت الذي لا يعلم أحد سواها ملامحه.

.....

الاربعاء : 2018/8/22

الساعة : الواحدة صباحا

لقد ملت حواء من المحاولات في فتح ذلك الصندوق فجميع محاولتها باءت بالفشل وذلك اللعين يوميا يتصل بها لمعرفة إلى ما توصلت إليه، كانت تفكر في إلقاؤه لولا أن تذكرت كلام مالك أن اليوم الفاصل في حياته يوم التقى ذلك الحيوان المدعو عوني وتذكرت تاريخ ذلك اليوم لذلك قامت بإدخاله على الفور ولحسن حظها كان تخمينها صحيح وإنفتح الصندوق ولكنها لم تجد به الا أجندة ما إن فتحتها أدركت ما هي إلا مذكرات مالك فقط .

كانت حواء في حيرة من أمرها بين أن تقرأ تلك المذكرات وبين أن تحرقها حتى لا تصل ليد ذلك اللعين فقط لتنتصر عليه ولو إنتصار واه مثل هذا. ولكن في النهاية تذكرت أن مالك أرادها أن تطلع عليها وإلا لما أهداها المفتاح بالإضافة إلى فضولها في معرفة ما كان يخفيه انتصر فقررت قراءتها ثم حرقها بعد ذلك. فهي كانت ترغب بشدة في معرفة ماضي مالك كان تريد الغوص في تفاصيله أكثر.

شرعت حواء في قراءة أول صفحات حياة مالك { لقد ولدت ولا اعلم ابوي. مجهول النسب والمصدر. لا اعلم الا أن أمي نزع منها رحمها قبل أمومتها وقررت التخلي عن غلطة حياتها فتركتها أمام أحد الملاجئ غير أبهة بما قد يحدث لي، نعم انا نتاج غلطة وأنا نبتة زرعتها بذرة الخطيئة ورواها الخوف من الفضيحة وكان سمادها عادات المجتمع، نعم أنا نتاج غياب ضمير وغياب الثقة وغياب الشرف. ولكن ما ذنبي حقا لا اعلم؟}. شهقت بمجرد أن قرأت ما تم خطه على تلك الورقة. تذكرت حديث مالك معها عن هذا المغي وتذكرت حديثها وردها على مالك. ذلك الحديث الذي كان كالسكين البارد ونحر عنقه ببطء وبرود مع كامل الألم. وعلى الرغم من كل هذا لم يتخلى مالك عنها ولم يظهر لها ما كان يبديه في نفسه من ندوب.

أكملت قراءة بعض الصفحات التالية ولقد ألمها ما ورد في هذه الصفحة " لقد قررت أن أبني مستقبلي بيدي وألا أستسلم لما يقال عني من أنني نغل وأن أمي زانية ضحك عليها عنتيل وسلبها شرفها وترك لها هدية في رحمها يذكرها به لكنها قررت التخلص من ماضيها وكل ما يرتبط به وأولهم الهدية، نعم الحقيقة كذلك ولكن أنا لست كذلك سأتفوق في المرحلة الثانوية حتى أصل إلى أعلى المراتب، نعم أنا ربيب ملجأ ولكنني لن ابقى أبدا هكذا ".

كانت تصدر همهمات بكائها وأصابعها تتحرك أسفل الكلمات { لما هذا العذاب ، لماذا اعمل ولا الاقي المقابل أبدا، قررت اليوم الانسحاب من كلية الطب والالتحاق بكلية الحقوق لعدم إستطاعتي التوفيق بين عملي وبين دراستي، فعملي لا يدر علي الكثير من المال بل هو بالكاد يكفي معيشتي فقط بعد تركي الملجأ. في الحقيقة أنا أخدع نفسي كل ما هنالك انني أحاول أن أتجنب السبب الرئيسي والذي ينهك عقلي ويشل شعوري ألا وهو معرفة الكلية بماضيي وتجنبهم إياي كأنني حيوان جرب مريض وأن اليتم مرض معدي وأن الملجأ مفرخة للمسوخ يجب البعد عنهم. وكل هذا لأنني وثقت بإحداهن اللعنة على ذلك القلب والذي يأمل الخير في بشرية بدأت أولى خطواتها على الأرض بذنب ونبت زرعها بدماء الأنقياء. اللعنة على ذلك العقل الذي لا يحمي صاحبه من قرارات فؤاده الهوجاء ويمنعه، اللعنة كل اللعنة على لساني الذي يجب ان يبقى صامتا للابد فبسببه قررت التخلي عن حلم عمري}.

إنتقلت لصفحة أخرى " هل سيظل ذلك الماضي العفن يطاردني، لما أدفع دوما ثمن خطأ لم أرتكبه بل كنت ضحية له، وما العيب أن أكون دكتور بالجامعة أو حتى قاضي مجهول النسب، وهل القدرة على التعليم أو القدرة على الحكم بين الناس يرتبط بعقلي أم بإسم أبي ومعرفة هوية أمي. ألم أتفوق في دراستي وأثبت إنني أفضل من أي شخص اخر، فعلى الرغم من ظروفي ومن ضنك المعيشة ومن إفتقار الدفء ومن وحدة المشاعر إلا إنني تفوقت ألم يكن هذا في نظر دولتي وقوانينها ولوائحها كاف. لماذا دوما الماضي يطاردني ويسبقني ويضع العراقيل بطريقي، لقد تعبت حقا وفقدت الإيمان بكل شيء بدءا بنفسي أين العدل وأين من يسعى يجد وأن العقاب الذي كان يجب أن يلقاه كل من جعلني أكفر بنفسي قبل أن أكفر بهذا العالم، يكفي هذا، يكفي الجهد والارهاق لن أتعب نفسي أكثر من ذلك، لقد نبذتني الدنيا كما نبذني اهلي، لذلك سأنبذها بالمقابل، للأسف لست من الاشخاص الذين يفكرون بالانتحار ولا أملك القوة لفعل ذلك لقد حاولت لكن تراجعت قبل أن تمس يدي السكين من الأساس، ولكن سأتجاهل الدنيا بأكملها التي تتجلى حقيقتها ببساطة مع قصة قابيل وهابيل فالنقي يقتل وتستبيح الأرض دمه وتعشقها وتصبو إليها بينما القاتل يحصد نعيمها ويتنعم فيها. فبئسا للحياة وقبحها}.

كانت تلهس بشدة من قوة الألم الذي يعتصر صدرها ويطبق عليه. وضعت المذكرات وحاولت أن تسيطر على قلبها وتنفسها تحاول أن تعي كم الشقاء الذي ولد فيه مالك. ما إن هدأت قليلا حتى اكملت ما بدأته { لقد بدأت أاصدق حقا ذلك الاختبار فمنذ أن جعلني صديقي أجربه وكل ما يقوله يحدث، فاليوم هو أهم يوم بحياتي، بدأت أعتقد أن هذه الدنيا تحاول أن تكفر عن أخطائها بحقي، لقد إلتقيت صدفة بشخص يدعى عوني وأخذت أتحدث معه ويبدو أن عقلي قد أعجبه لذلك قال إنه سيوظفني لديه بالشركة لا اعلم السبب ولا من أين أتى وأن هناك غرض من تصرفه هذا ولكن لا يهمني فلن أرى أكثر مما رأيت بحياتي لذلك قررت أن أتجاهل كل شيء وأحاول الإستمتاع بتلك الدقائق القليلة التي قررت الحياة الإبتسام لي فيها، المهم انني سعيد وهذا كاف}.

بعد عدة صفحات لفت إنتباهها " ذلك الحقير جعلني أقوم بطعن أحدهم اليوم ولكن هيهات لست انا من يؤذي بشري مثلي، لقد اتصلت مسبقا بالإسعاف من هاتف أحد المارة لعلمي إنه يراقب هاتفي بل أنا على يقين بإنه يراقب أنفاسي وأفكاري. بعد ذلك قمت الهدف طعنه لا تؤذيه في مكان ليس بذات خطورة، وليسامحني الله ولكنه يعلم أن الأمر ليس بيدي، أنا فقط لا أريد ان افقد ما امتلكته حتى الأن. ليس القهر أن تحرم من النعمة لكن القهر كل القهر أن تزول تلك النعمة بعد تذوقها، أني أحاول فقط أن أعيش الحياة لا اكثر ولا اقل، اليس هذا من حقي}.

" ما الذي يحدث لي. لا استطيع التوقف عن التفكير بها لقد ملكتني وسلبت عقلي وقلبي منذ أن وطأت قدماها الشركة ومن حظي انها تعمل تحت امرتي، اه يا حواء، هل ستتقبليني وهل من حقي أن احبك، أم أن هذا يعد ظلم لك، فما ذنبك أن ترتبطي بمن هو مثلي، ولكن ما ذنبي أنا أيضا، عقلي دوما يفكرني بالنهاية التي أنا على يقين بمقدار ألمها فلقد أختبرته من قبل، لكنني كالمسحور أتحرك بلا تفكير وبكل انانية أوليس الحب في أساسه أنانية قبل أن يكون تضحية. رغبتك في الإستئثار بحبيبك أنانية،غيرته عليك أنانية، طلبك الدائم بإظهار مشاعره أنانية، رغبتك الدائمة في لقاؤه دون المبالاة بظروفة أنانية. أنا أحبها ولا أعلم أي شيء أخر، قررت التنعم بمشاعر الحب حتى أكون قادرا في النهاية على تحمل مشاعر

الهجر والتقزز والنبذ مجددا. أشعر في كثير من الأحيان بأنها عقاب من الله على ما إقترفته يدي من جرائم فحبها وهجرها شعور لا يمكن إحتماله.رحماك يا رب}.

كانت تقرأ وكأنها إنتزعت مشاعرها بلا أي شعور أو حركة وبلا تفكير كل ما تريده هو معرفة مالك ومحاولة التواصل معه {ما الذي يجب أن أفعله، كيف سأقوم بذلك، كيف سأغتصب فتاة، بل كيف سأغتصب حياتها بأكملها، اللعنة على هذا الاختبار، لن افعل ذلك ولو كان فيها دمار كل شيء. فلن أذيق أحد ما ذقته طوال حياتي. ولن أتسبب أن ينبذها المجتمع كما نبذني}.

كل ما توارد في ذهنها أن مالك قد إغتصب الفتاة بالفعل وإلا لكانت نهايته مبكرة لكن الصفحة التالية أتت كصفعة مدوية على سوء ظنها، صفعة جعلتها أن تواجه الحقيقة العارية ألا وهي كم إنها حقيرة سطحية رغم كل ما مرت به {لقد هداني الله إلى تلك الحيلة لقد خطفت الفتاة حقا ولكنني لم أمسها بأي سوء. اخفتها في البداية حتى لا تعتقد أن الأمر مزحة ومثلت إنني أريد إغتصابها لكن توقفت قبل حتى أن أمس شعرة واحدة منها بحجة إنني رأفت بحالها وإتفقت معها ألا تخبر أحد مطلقا بما حدث بل تجعلهم يتخبطون في تكهناتهم حتى ولو وصلت تلك التكهنات حد تصديقهم التام بإغتصابها. وأخبرتها ألا تخبر أحد عن هذا الإتفاق حتى والدها ووالدتها، إلى أن أخبرها بأن تفعل وإلا سوف اخطفها مجددا وهذه المرة سأغتصبها حقا، أعتقد أن الخوف جعلها تفعل كل ما أمرتها به ، لذلك مزقت ملابسها وخدشتها في عدة اماكن متفرقة من جسدها، ثم قلت لها بأن تمثل بإنها فاقدة للوعي وخرجت وأنا أحملها وألقيتها امام منزل والديها دون أن يراني أحد فلقد كنا بالصباح الباكر، ليسامحني الله ولكنني لم اؤذيها بل وحميتها لأنني لو رفضت لأمر ذلك اللعين غيري ليغتصبها، ارحمني يا الله واجعل لهذا العذاب نهاية }. هوت على الأرض وهي لا تصدق من هو مالك.

{ لو كنت اعلم أن طلبه مني سكب القهوة كان لإدخال حواء باللعبة ما فعلت، ولو كنت اعلم إنه سيسبب تلك الخسائر لعوني ما فعلت ذلك مطلقا، لماذا تفعل حواء ذلك لقد حذرتها مرارا من أن تدخل على تلك الروابط، لماذا دوما تتعمد أن تفعل عكس ما أطلبع منها وأنا احاول حمايتها دوما. ولكن فعلا افعالك تعود اليك بشكل أو بأخر كما أخبره فأنا من أدخلت

سماح إلى الإختبار وهي قامت بإدخال حواء، سامحيني حبيبتي فلم أكن أعلم أن الأمر سيطالك وإلا كنت أنهيت حياتي حتى قبل أن أقابلك وتحبيني}.

{ ما تلك المصائب التي تحدث لها وكأن الكون كله وقف ضدها، في كل مرة أحاول اخبارها بحقيقتي يحدث لها مكروه يوقفني ويلجم لساني عن البوح حتى أكون بجوارها مكروه دوما يذكرني بأنني وبحقارتي وبكامل إرادتي زججت بها إلى تلك الرحايا التي سحقت عظامها ودكته دكا، لا أبوح حتى لا تلفظني وهي في اشد الحاجة إلى، حتى لا تكون بجواري مجبرة على مرافقتي فقط لحاجتها، لا اعلم ماذا افعل، ولكن حياتها تدمرت بسببي ولا اعلم ماذا افعل لها }.

قاربت مذكراته على الإنتهاء { تلك هي المرة الاولى التي أحتقر نفسي إلى هذه الدرجة، أعلم أن تلك الحقيبة كان بها شيئ غير قانوني والغالبية إنها اعضاء بشرية، مادام تلك الحقيرة سماح هي من اعطتها لي، انها شيطان على هيئة طبيب، لم تتورع في فعل أي شيء فقط يصب في مصلحتها، ولكن لماذا الومها وأنا من أدخلها إلى تلك الدوامة أنا أحمل ذنوب كثيرة أثقلت كاهلي ودمرتني، الأن علمت لما كان ماضيي أسود يلونه الحاجة والفقر والعويل فأمثالي كانوا إنقياء أتقياء ما دامت النعمة بعيدة المنال لكن ما إن تندو منهم يتحولوا لوحوش مستعدين فعل كل مالا يخطر على عقل بشر فقط للحفاظ على تلك النعمة. سامحوني جميعكم}.

{يا الله الألى هذه الدرجة تورطت حواء، عندما كانت تحكي لي ما حدث وما فعلته كنت اتمزق من داخلي، يا الهي ماذا فعلت، وماذا انا فعلت بها، لقد انزلقت قدماها في الوحل حتى غاصتا وقارب الوحل على إبتلاعها، لماذا لم تلجأ إلى منذ البدء كنت حاولت مساعدتها وحاولنا الالتفاف عليه كما افعل دوما؟ لماذا}.

وصلت للصفحة الأخيرة فلم يكتب بعدها شيء وكانت تحتوي على تلك الكلمات {حاولت مرارا أن أخترق شبكته ولم استطع، حاولت معرفة اسمه وكان بلا جدوى، حاولت إثبات وجوده أو أي شيء يدل على صدق كلامي لكنه كالبخار الشفاف لا تستطيع أن تقبضه بين يديك. لا اعلم ما الذي يجب علي فعله لانقاذي وانقاذ حواء، فهي لن تستطيع تحمل صدمة

اخرى، الكل خائف والكل متورط ولكن ما العمل، حقا تلك المرة أناعاجز كليا عن التصرف والتحرك، وأعلم إنه على علم بكل خطوة أخطوها وأن عقابة تلك المرة سيكلفني روحي لكن لا أبالي. سامحيني حوائي "

كان ذلك اخرما كتبه مالك. أغلقت حواء مذكراته غير مستوعبه ما قرأته، لقد إتضح كل شيء الأن. علمت سبب التردد في طلب الارتباط بها، علمت كل شيء عن ماضيه وماضي سماح بل وماضيها أيضا. علمت انه لم يؤذي احد متعمدا، فلماذا يحمل نفسه ذنب كل شيء حدث، فهي من دخلت الاختبار بمحض إرادتها. وهي من لم تستمع لنصائحه وتتبعت سماح. سماح أه سماح تلك التي كانت تعدها أختها وليس صديقة تفعل بها كل هذا. ولكن لما تلوم سماح وهي فعلت مثلها بل وألعن، في النهاية سواء هي أم سماح كلتاهما إختارتا و بارادتهما كل شيئ. وكان هذا أهم درس تعلمته من مذكرات مالك.

كانت تبكي بشدة وتحدث نفسها "نعم لو كانت الظروف مختلفة لما تقبلت ظروفك يا مالك حتى ولو كنت أحبك. أنا لن أكذب على نفسي بل كنت سأنبذك وأحتقرك وأسبك وأتهمك بخداعي. حتى وإن قبلت فأهلي لم يكونا ليتقبلا ذلك فجميعنا كان مخاضنا من نفس المجتمع، على الرغم من أثباتك إنك انسان وإنك انزه مني ولكن المجتمع لا يهمه إلا المظاهر والجاه والسلطان والعزوة المتمثلة في الأهل وأنت لم تكن تملك أي مقوم من تلك المقومات، يا لغبائي فأنا لم أفكر مطلقا إلا في تنفيذ ما طلب مني، لم أفكر في كيفية خداعه كما فعل مالك".

مالك المظلوم المطرود من رحمة الدنيا منذ ولادته اثبت إنه أرحم من في تلك الدنيا، نعم أخطا ولكن باشياء لا تذكر. أه يا مالك. فلتفق من غيبوبتك أرجوك ولتكن بجانبي. لن أرفضك أبدا ولن أتركك فلقد أصبحنا متشابهين لا أهل لنا ولا جاه ولا سلطان، كما إنك الوحيد الذي تعلم بحقيقتي وتتقبلني. ارجوك أفق وكن بجواري.

قامت حواء وأحرقت تلك المذكرات فما كانت لترضى أبدا أن تقع تلك المذكرات بيد ذلك اللعين مطلقا. لم تدري حواء انها قراءة تلك المذكرات استغرقت منها يومين كاملين إلا بعدما

أحرقتها وشعرت بالإرهاق، لذلك قررت أن تغفو قليلا وبعد استيقاظها تحاول ترتيب أي شيئ لتقوله لذلك اللعين .

.....

السبت : 2018/8/25

الساعة : الحادية عشر مساءا

رن هاتف حواء ونظرت له وقامت بالفتح على الفور " اهلا بك".

- غريبة ما هذا الترحاب، هل قمتي بفتح الصندوق؟.
- لا لم استطع ذلك نهائيا ، ممكن أن أرسله لك لتحاول انت فتحه.
- بل قمتي بفتحه وقرأت ما فيه وقمت بإحراقه أيضا. ماذا هل تعتقدين إنني لا أعرف. لقد اخبرتك بكل هذا الوهم حتى أدفعك دفع وبشغف للحصول عليه. هل تعتقدين إنني لأا أعرف ما الذي كان يفعله مالك. أخبرتك مسبقا أنا أحدد الإختبار وإنت لك مطلق الحرية في طريقة التنفيذ المهم النتيجة. طريقة التنفيذ التي تحدد ما هي طينتك وما هو الحيوان الذي يسطر على روحك وهل يكمن الظلام بقلبك أم هو قبس من نور. الصندوق كان مجرد هدية لك. فلتعتبريها هدية وداع لأنني وعدت مالك أن يكون ذلك أخر اختبار لك، أريدك أن تدخلي عشرة من اصدقائك في اللعبة وحينها ستكونين حرة تماما".
- كإنها لم تستمع إلى أي شيء قاله فسألته "هل انت المسئول عما حدث لسماح؟".
- نعم، كان لابد من خلق خلاف وبلبلة حتى أستطيع توزيع صفقة السلاح التي كانت بحوزتي، فجعلت مساعدها يقطع الشريان ثم يخرج ويخبر أهل المريض بإنها السبب وإنها فعلت ذلك متعمدة بأمر من أحد أعداؤه وهم تكفلوا بالباقي، وعندما وجدت أن الموضوع بدأ بالأفول جعلتك تفجرين السفارة السعودية، وكانت تلك القشة التي قسمت ظهر البعير فكل شخص سعودي بمصر وكل مصري بالسعودية اشترى سلاح كوسيلة للدفاع عن نفسه. وأنا كسبت من غبائكم وتفرقتكم.
- من قام بحرق المنزل
- سماح من فعلت ذلك وهي من انقذتك أيضا.

- عوني انت من اخبرته بأن يوظف مالك ؟ اليس كذلك.
- نعم وأنا من اخبرته أن يتحرش بك أيضا وأن يطرد مالك.
- هل انت من قتلت أخي ؟
- لا نهائيا،حقا لم أكن أنا. بل يمكنك تسميته القدر في أبهى صوره . فلتعتبريه كعقاب لك.
- هل نجى أحد من الإختبار؟ أو بالأصح هل رفض أحد الخضوع لك؟
- نعم. واحد فقط وهو والدك رغم تهديده بكل شيء. لدرجة إنني هددته بأنني سأجعلك عبدة لي. لكنه وبكل ثقة أخبرني إنه على يقين بتربيتك ومبادئك. وإنك كبرت وتعرفين كيف تختارين أي الطرق لتسلكيها وإنه لن يتخلى عن مبادئه أيا كان. لذلك أمرت بقتله وأدخلتك اللعبة. كل ما أردته تصديقه على دخول بعض الصفقات ولكنه رفض وها أتى مساعده وأتم كل شيء.
- سؤال أخير فأنا حقا لم أعد أرغب في سماع المزيد. ما مدى تحكمك في الأمر؟.
- هههههه يكفي أن أخبرك إنه حتى زئير الأسد الذي أربك الجميع كنت أنا السبب فيه. فأنا من أمرت الحارس أن يستثيره ليأزر وأن يصرخ الحارس ليخيف الجميع. كل شيء مخطط له وكل له دوره وكل حدد دوره وفقا لإختياره. ومن ينجح في الإختبار وينتهي دوره يجب أن يذهب للحياة الأخرى دار القرار والتي لن تعلمي هل هي حق أم لا إلا بعد رحيلك لها. أليس هذا ما تؤمنون به.
- لن اسالك عن الباقي لأنني عرفته، كل شيء كان مرتبط ومترابط وانت المستفيد الوحيد في الموضوع.
- لقد استغللت غباؤكم فقط، استغللت خوفكم وحاجتكم ونقاط ضعفكم، ولم أرغم أحد منكم على شيء ولم أرتكب أي جرم بيدي بل انتم المجرمون، انا لا اتحمل ارتكاب جريمة أو ازهاق روح، بل انتم من تفعلون ذلك وبكل حب وطيب خاطر وتضعون اللوم عليَ رغم إنني لست سوى إختبار.
- انك شيطان، تعطيهم الاساليب والدوافع وتدس بينهم الشقاق ثم تقول لا ذنب لك، اللعنة عليك.
- كيف ذلك أيتها الحمقاء. أين عقلك إذن ألم يميزك خالقك بجودة العقل وحرية الإختيار. لتصبحي صادقة مع نفسك ولو لمرة واحدة فقط. الغالب يختار طريق الراحة وطريق

السلامة حتى ولو كان في مقابل ذلك هلاك الجميع. الغالب يضع الجميع تحت قدمه فقط لينجو هو ثم تقولين أجبرتهم. كان يمكن أن تكوني مثل أبيك أو مثل مالك لكن إختيارك أوضح إنك كائن أناني طفيلي تعيشين على الشفقة على ذاتك وتتغذين على الخوف. تخافين من الموت والجميع نهايتهم الموت. تخافين من المجتمع ومن حديث المجتمع وفي النهاية ستفضحين أمام الحشر الأكبر. لا تلومي إختباري بل لومي أختيارك.

- لا يهم. ما الذي سيحدث إذا لم انفذ ما امرتني به؟.
- حسنا لنرى. يمكن أن تقوم والدتك بقتل نفسها مثلا بعدما علمت بما فعلتيه، نعم هذا لم يحدث ولكن هذا ما سيكتب، أو أن مالك على الرغم من غيبوبته إلا انني ساجعل موته مؤكد ومحتوم وكذلك كل ما فعله سيعلمه القاصي والداني. ولنرى ما الذي سيحدث أيضا ستعودين من حيث اخرجتك فكما اخرجتك ساعيدك ثانيا تشويه سمعتك وإعدام . ما رأيك في موت ثلاثي الابعاد".
- سؤال أخير، لماذا قام مالك بقتل نفسه ؟
- لأنني طلبت منه أغتصابك ولابد أن يصور ذلك فرفض يبدو أنه كان يحبك حبا جما منعه ذلك من إيذائك
- حسنا سأفعل ما امرتني به . وقامت باغلاق الهاتف ولم تعطه فرصه لاتمام حديثه .

بعد برهه ظهر لها الرابط الذي يريدها أن ترسله لصديقاتها. ولكن بعد أن حددت من هن وقبل الضغط على زر الارسال تذكرت مالك، وما فعله، تذكرت أدميتها لبرهه من الزمن، ما ذنب هؤلاء ولماذا تورطهم كما تورطت هي، ولكن ما ذنبها هي وما ذنب والدتها وما ذنب مالك هل تظلمهم أكثر مما ظلمتهم الدنيا، يمكن أن يعود مالك من غيبوبته ويتزوجا وتعود والدتها من حالة التيه التي بها عقلها وتنتهي حياتهم حياة سعيدة هي مجرد ضغطة زر وستتحرر من كل شيئ. كان هناك صراع بينها وبينها.

ظلت حواء لأكثر من نصف ساعة على حالتها تلك واجمة فأصبحت كتمثال تم نحته حديثا، ما يجعلك تتأكد إنها ما زالت على قيد الحياة هي نظراتها المتنقلة بين شاشة الحاسب الآلي ونافذة شقتها. غزارة الدموع المنسابة من مقلتيها وتوقف يدها في منتصف الطريق بينها وبين زر

الإرسال يخبرك بمدى العذاب القابع فيه قلبها. فهي تأبى التضحية بروحها وكذلك ترفض رفضا قاطع توريط أحد أخر في تلك الدوامة القاتلة.

بضع شهور، هم فقط بضع شهور. لم تكن لتتخيل أن حياتها قد تنقلب رأسا على عقب في تلك المدة. لو كان يمكنها العودة. لو كانت مجرد حمل كاذب حينها كانت ستريح وستستريح ولكان انتهى كل شيء قبل أن يبدأ من الأساس. مر بخاطرها الكثير والكثير من لو، ولكن منذ متى ولو يمكنها تصحيح الأمور، فلو ليس إلا حرف للمستحيل الذي لا ينفع معه إلا الندم.

ظلت تصرخ بأعلى صوتها لعل هناك من يسمع منجاتها وينقذها "اللعنة عليك وعلى هذا الموقع، اللعنة على ذاك اليوم التي سولت لي نفسي بأنها مجرد تراهات لا تضر. اللعنة عليك أيها الداعر الفاجر، اللعنة على تلك الرسالة التي كانت بداية كل شيء". صمتت لبرهة لتلتقط فيها أنفاسها ثم أكملت " بل اللعنة كل اللعنة عليَ، فلتذهب أيها الشيطان للجحيم أنت ولعبتك".